

الغراب بلاكى

ثورنتون ديليو برجس



الْغُرَابُ بِلَاكِي

تأليف
ثورنتون دبليو برجس

ترجمة
أحمد شكل

مراجعة
لبنى عماد تركي



Blacky the Crow

Thornton W. Burgess

الْغُرَابُ بلاكِي

ثورنتون دبليو برجس

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شيتت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبرُ الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: حنان بغدادي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٣٩٦ ٥

صدر الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية عام ١٩٢٢.

صدرت هذه الترجمة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٨.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب، وتصميم الغلاف، والترجمة العربية لنص

هذا الكتاب مُرَحَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُنْصَف، الإصدار ٤.٠. جميع

حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	إِهْدَاءُ
٩	١- الْغُرَابُ بِلَاكِي يُحَقِّقُ اكْتِشَافًا
١١	٢- بِلَاكِي يَتَأَكَّدُ
١٥	٣- بِلَاكِي يَعْرِفُ صَاحِبَ الْبَيْضَتَيْنِ
١٧	٤- دَهَاءُ بِلَاكِي
١٩	٥- بِلَاكِي يَسْتَدْعِي أَصْدِقَاءَهُ
٢١	٦- السَّيِّدُ هَوْتِي لَمْ يَبْقَ فِي مَكَانِهِ
٢٣	٧- بِلَاكِي يُجَرِّبُ خُطَّةً جَدِيدَةً
٢٥	٨- هَوْتِي يَهْبُ لِنَجْدَةِ السَّيِّدَةِ هَوْتِي
٢٧	٩- بِلَاكِي يُفَكِّرُ فِي ابْنِ الْمُزَارِعِ بَرَاوِنَ
٢٩	١٠- ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوِنَ وَهَوْتِي
٣١	١١- ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوِنَ يَتَعَرَّضُ لِلْإِغْرَاءِ
٣٥	١٢- مَعْرَكَةٌ أَعْلَى شَجَرَةٍ
٣٩	١٣- بِلَاكِي يُغَيِّرُ رَأْيَهُ
٤١	١٤- بِلَاكِي يَقُومُ بِزِيَارَةٍ
٤٥	١٥- بِلَاكِي يَتَفَقَّدُ الْأَوْضَاعَ
٤٩	١٦- بِلَاكِي يَجِدُ أدْلَةً أُخْرَى
٥٣	١٧- أَمْرٌ عَجِيبٌ

- ٥٥ ١٨- ظُنُونُ بِلَاكِي
- ٥٧ ١٩- بِلَاكِي يَصِلُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ الْاِكْتِشَافَاتِ
- ٥٩ ٢٠- بِلَاكِي يُحَذِّرُ الْآخَرِينَ
- ٦٣ ٢١- بِلَاكِي يَتَأَكَّدُ أَخِيرًا
- ٦٧ ٢٢- بِلَاكِي يَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ سَعِيدًا
- ٧١ ٢٣- بِلَاكِي يَسْتَدْعِي ابْنَ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ
- ٧٣ ٢٤- ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ يُفَكِّرُ
- ٧٥ ٢٥- صَدْمَةٌ شَدِيدَةٌ
- ٧٩ ٢٦- لِمَاذَا لَمْ يَصْطِدِ الصَّيَّادُ أَيَّ بَطَّاتٍ؟
- ٨١ ٢٧- الصَّيَّادُ يَسْتَسْلِمُ
- ٨٥ ٢٨- بِلَاكِي يَتَحَاوَرُ مَعَ دَاسِكِي
- ٨٩ ٢٩- بِلَاكِي يَجِدُ بَيْضَةً
- ٩٣ ٣٠- بِلَاكِي يَسْتَجْمَعُ شَجَاعَتَهُ
- ٩٧ ٣١- بَيْضَةُ سَيِّئَةِ السُّلُوكِ
- ١٠١ ٣٢- مَاذَا فَعَلَ بِلَاكِي بِالْبَيْضَةِ الْمَسْرُوقَةِ؟

إهداء

إِلَى الْمَوَاطِنِ الْأَمْرِيكِيِّ الَّذِي حَافَظَ عَلَى بَقَائِهِ فِي أَرْضِ أَجْدَادِهِ — عَلَى الرَّغْمِ
مِنْ تَبَدُّلِ الظُّرُوفِ وَتَعَرُّضِهِ لِلِاضْطِّهَادِ — بِقُدْرَتِهِ عَلَى التَّكْيُفِ وَذَكَائِهِ ... إِلَى
الْغُرَابِ.

الفصل الأول

الْغَرَابُ بِلَاكِي يُحَقِّقُ اكْتِشَافًا

دَائِمًا مَا يَرَى الْغَرَابُ بِلَاكِي أَشْيَاءَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرَاهَا، وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ يَقَعُ فِي مُشْكَلَاتٍ لَا تَنْتَهِي كَانَ يُمَكِّنُهُ تَجَنُّبُهَا. وَهُوَ فِي هَذَا يُشَبِّهُ ابْنَ عَمِّهِ طَائِرَ السُّنْدِيَانِ سَامِي؛ فَكِلَاهُمَا يَرَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَا تَعْنِيهِ، وَالْأَفْضَلُ لَهُ أَلَّا يَرَاهَا.

وَجَدَ الْغَرَابُ بِلَاكِي الْحَيَاةَ صَعْبَةً؛ إِذْ غَطَّى الْجَلِيدُ الْمُرُوجَ الْخَضِرَاءَ وَالْغَابَةَ الْخَضِرَاءَ، وَكَسَتِ التَّلُوجُ النَّهْرَ الْكَبِيرَ وَالْبُرْكَهَ الْبَاسِمَةَ. فَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْمَلَ نَظَرُهُ الْحَادَّ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ لِيَجِدَ مَا يَسُدُّ جُوعَهُ، وَكَانَ مُسْتَعِدًّا لِأَكْلِ أَيِّ شَيْءٍ يَجِدُهُ فِي طَرِيقِهِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقْطَعُ مَسَافَاتٍ طَوِيلَةً بَحْثًا عَنِ الطَّعَامِ، وَلَكِنَّهُ دَائِمًا مَا يَعُودُ لَيْلًا إِلَى نَفْسِ الْمَكَانِ فِي الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ لِيَبِيتَ لَيْلَتَهُ بِصُحْبَةِ أَفْرَادٍ عَائِلَتِهِ الْآخَرِينَ.

فَبِلَاكِي يَعْشُقُ الصُّحْبَةَ، وَخَاصَّةً فِي اللَّيْلِ. وَعِنْدَمَا يَبْدَأُ قَرُصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرْحَ فِي التَّفَكُّرِ فِي سَرِيرِهِ خَلْفَ التَّلَالِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ، فَسْتَجِدُ بِلَاكِي يَتَجَهَّ نَحْوَ بُقْعَةٍ بَعَيْنَهَا مِنَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ؛ حَيْثُ يَعْرِفُ أَنَّهُ سَيَجِدُ جِيرَانًا مِنْ جِنْسِهِ. وَيَقُولُ الْأَرْزَبُ بِيْتَرُ إِنَّ بِلَاكِي لَا يَجْرُؤُ عَلَى النَّوْمِ بِمُفْرَدِهِ؛ لِأَنَّهُ ضَمِيرُهُ يُؤَرِّقُهُ، وَلَكِنَّ السَّنَجَابَ جَاك السَّعِيدَ يَقُولُ إِنَّ بِلَاكِي عَدِيمُ الضَّمِيرِ. يُمَكِّنُكَ أَنْ تُصَدِّقَ مَا تَشَاءُ، وَإِنْ كُنْتَ أَشْكُ فِي أَنَّ أَيًّا مِنْهُمَا يَعْرِفُ الْحَقِيقَةَ.

كَمَا قُلْتُ سَابِقًا، بِلَاكِي كَثِيرُ التَّرَحُّالِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، وَأَحْيَانًا يَأْخُذُهُ بَحْثُهُ عَنِ الطَّعَامِ إِلَى أَمَاكِنَ نَائِيَةٍ. فِي أَحَدِ أَيَّامِ أَوَاخِرِ الشَّتَاءِ، طَرَأَتْ عَلَى ذِهْنِهِ فِكْرَةٌ أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً عَلَى رُكْنٍ مُعَيَّنٍ مَهْجُورٍ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ حَيْثُ كَانَ الصَّفَرُ أَحْمَرَ الذَّيْلِ يَعِيشُ فِي

يَوْمَ مِنَ الْأَيَّامِ. كَانَ بِلَاكِي يَعْلَمُ أَنَّ أَحْمَرَ الذَّيْلِ لَمْ يَعُدْ يَعِيشُ هُنَاكَ؛ فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى الْجَنُوبِ فِي الْخَرِيفِ وَلَنْ يَعُودَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ وَصُولِ السَّيِّدِ رَبِّيعَ إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ.

وَكَعَادَةِ ذَلِكَ الْوَعْدِ الْأَسْوَدِ، حَلَّقَ بِلَاكِي فَوْقَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ، وَلَمَحَتْ عَيْنَاهُ النَّاقِبَتَانِ شَيْئًا مُثِيرًا فِي الْأَسْفَلِ؛ فَقَدْ رَأَى أَمَامَهُ الْعُشَّ الْقَدِيمَ لِلصَّقْرِ أَحْمَرَ الذَّيْلِ. كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ هَذَا الْعُشِّ؛ فَقَدْ زَارَهُ مِنْ قَبْلُ فِي غِيَابِ أَحْمَرَ الذَّيْلِ. مَعَ ذَلِكَ، ظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ رُبَّمَا كَانَ يَسْتَحِقُّ زِيَارَةً أُخْرَى؛ فَلَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْرِفَ أَبَدًا مَا يُمْكِنُ أَنْ تَجِدَهُ فِي الْمَنَازِلِ الْقَدِيمَةِ. وَبِالطَّبَعِ كَانَ بِلَاكِي يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّ أَحْمَرَ الذَّيْلِ يَبْعُدُ عَنْهُ أَمْيَالًا — بَلْ مِائَاتِ الْأَمْيَالِ — وَلِذَا لَيْسَ ثَمَّةَ مَا يَخْشَاهُ مِنْهُ. وَلَكِنَّ بِلَاكِي كَانَ قَدْ تَعْلَمُ مِنْذُ زَمَنٍ أَنَّ أَفْضَلَ شَيْءٍ هُوَ التَّأَكُّدُ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ خَطَرٍ؛ لِذَا، عَوَظًا عَنْ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْعُشِّ الْقَدِيمِ مُبَاشَرَةً، حَلَّقَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ لِكَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَرَى مَا فِيهَا مِنْ عِلٍّ.

فَوَرَّا رَأَى بِلَاكِي شَيْئًا جَعَلَهُ يَشْهَقُ وَيَطْرِفُ بِعَيْنَيْهِ. كَانَ الشَّيْءُ كَبِيرًا إِلَى حَدِّ مَا وَأَبْيَضَ اللَّوْنِ، وَكَانَ يُشْبِهُ ... كَانَ يُشْبِهُ الْبَيْضَةَ كَثِيرًا! هَلْ تَتَعَجَّبُ مِنْ شَهِيقِ بِلَاكِي وَطَرَفِهِ بِعَيْنَيْهِ؟ كَانَ التَّلَجُّ يَعْطِي الْأَرْضَ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يُشِيرُ إِلَى نِيَّةِ الرِّيَّاحِ الشَّمَالِيَّةِ الْبَارِدَةِ وَالصَّقِيعِ الْعُودَةِ إِلَى الشَّمَالِ الْبَعِيدِ. طَائِرٌ بَيِضٌ بَيْضَةٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ! طَارَ بِلَاكِي إِلَى شَجَرَةٍ صَنْوِيرٍ عَالِيَةٍ لِلتَّفَكُّيرِ فِي الْأَمْرِ.

فَكَرَّ قَائِلًا: «لَا بُدَّ أَنَّهَا كَانَتْ مُجَرَّدَ كُتْلَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ التَّلَجِّ. لَكِنَّهَا بَدَتْ بَيْضَةً وَلَا شَكَّ. أُوهِ! كَمْ سَيَطِيبُ لِي تَذَوُّقُ بَيْضَةِ الْآنِ!» وَكَمَا تَعْلَمُونَ، بِلَاكِي ضَعِيفٌ أَمَامَ الْبَيْضِ. وَكَلَّمَا فَكَرَ فِيهِ أَكْثَرَ، أَزْدَادَ جُوعَهُ. فَكَرَّ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي التَّوَجُّهِ إِلَى هُنَاكَ مُبَاشَرَةً وَالتَّأَكُّدِ مِمَّا رَأَاهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ. فَإِذَا مَا كَانَتْ بَيْضَةً، فَلَا بُدَّ أَنَّهَا تَخْصُ أَحَدَهُمْ، وَرُبَّمَا كَانَ الْأَفْضَلُ أَنْ يَعْرِفَ مَنْ صَاحِبُهَا. وَفَجْأَةً، انْتَفَضَ بِلَاكِي قَائِلًا: «لَا رَيْبَ أَنَّي أَحْلَمُ، لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوَجَدَ بَيْضَةٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، أَوْ فِي هَذَا الْعُشِّ الْمُهْتَرِئِ الْقَدِيمِ! سَوْفَ أَطِيرُ مِنْ هُنَا وَأَنْسَى أَمْرَهَا.»

طَارَ بِلَاكِي وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْسَى الْأَمْرَ، بَلْ ظَلَّ يَفَكِّرُ فِيهِ طَوَالَ الْيَوْمِ، وَعِنْدَمَا ذَهَبَ إِلَى النَّوْمِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ قَرَّرَ أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً أُخْرَى عَلَى ذَلِكَ الْعُشِّ الْقَدِيمِ.

الفصل الثاني

بلاكي يتأكد

صَارَ أَكِيدًا بِلَا شَكٍّ
بَيِّضَةُ طَارِجَةً هِيَ مَا رَأَيْتُ.

سَأَلَ طَائِرُ السُّنْدِيَانِ سَامِي، الَّذِي أَتَى فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ لِيَسْمَعَ الْجُزْءَ الْأَخِيرَ مِنَ الْكَلَامِ
الَّذِي كَانَ الْغُرَابُ بِلَاكِي يُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَهُ: «عَمَّ تَتَحَدَّثُ؟»
فَرَدَّ بِلَاكِي قَائِلًا: «لَا شَيْءَ، يَا ابْنَ الْعَمِّ، لَا شَيْءَ عَلَى الْإِطْلَاقِ. كُنْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي
حَدِيثًا أَحْمَقَ.»

نَظَرَ إِلَيْهِ سَامِي بِحِدَّةٍ وَتَسَاءَلَ قَائِلًا: «لَسْتَ مَرِيضًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا ابْنَ الْعَمِّ بِلَاكِي؟
لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِكَ خَطْبٌ مَا عِنْدَمَا تَبْدَأُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ بَيِّضِ مَوْضُوعٍ حَدِيثًا، بَيْنَمَا كُلُّ
شَيْءٍ مُغَطَّى بِالتَّلَجِّ وَالْجَلِيدِ. الْحَمَاقَةُ لَيْسَتْ الْوَصْفُ الْمُنَاسِبُ لِذَلِكَ. مَنْ سَمِعَ مِنْ قَبْلُ
بَبَيِّضَةٍ مَوْضُوعَةٍ حَدِيثًا فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ؟!»

أَجَابَ بِلَاكِي: «أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَسْمَعْ بِذَلِكَ. أَخْبَرْتُكَ أَنَّهَا حَمَاقَةٌ. فَأَنَا جَائِعٌ لِدَرَجَةٍ
أَنْ أَفَكِّرَ فِيمَا يُمَكِّنُنِي تَنَاوُلَهُ إِذَا كُنْتُ أَسْتَطِيعُ الْحُصُولَ عَلَى مَا أُرِيدُ. وَذَلِكَ جَعَلَنِي أَفَكِّرُ
فِي الْبَيِّضِ، وَحَاوَلْتُ أَنْ أَفَكِّرَ فِي شُعُورِي إِذَا رَأَيْتُ بَيِّضَةً كَبِيرَةً لَذِيذَةً أَمَامِي فَجَاءَتْ. أَظُنُّنِي
قُلْتُ شَيْئًا بِهَذَا الشَّانِ.»

فَقَالَ سَامِي: «لَا بُدَّ أَنْ هَذَا مَا حَدَثَ. فَهَذَا لَيْسَ وَقْتُ وَضْعِ الْبَيِّضِ، وَلَنْ يُوَضَعَ
الْبَيِّضُ عَمَّا قَرِيبٍ. اسْتَمِعْ لِنَصِيحَتِي وَانْسَ هَذِهِ الْأُمُورَ الْمُسْتَحِيلَةَ. سَوْفَ أَذْهَبُ إِلَى

صَوَمَعَةُ الدُّرَّةِ فِي مَزْرَعَةِ الْمَزَارِعِ براون. رَبَّمَا لَا تَكُونُ الدُّرَّةُ لَذِيذَةً مِثْلَ الْبَيْضِ، وَلَكِنَّهَا حَبِيذَةٌ جَدًّا وَمُشْبِعَةٌ. حَرِيٌّ بِكَ أَنْ تَأْتِيَ مَعِيَ.»

فَرَدَّ بِلَاكِي: «لَيْسَ الْيَوْمَ، رَبَّمَا فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ. شُكْرًا لَكَ.»

وَقَفَّ بِلَاكِي يُرَاقِبُ سَامِي وَهُوَ يَتَوَارَى بَيْنَ الْأَشْجَارِ، ثُمَّ حَلَقَ إِلَى قِمَّةِ أَطْوَلِ شَجَرَةِ صَنْوَبِرٍ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ فِي الْجَوَارِ. وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ تَمَامًا مِنْ أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَرَاهُ، بَسَطَ جَنَاحَيْهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

تَمَتَّمَ قَائِلًا: «إِنِّي أَحْمَقُ. أَعْلَمُ أَنَّنِي أَحْمَقُ، وَلَكِنْ عَلَيَّ أَنْ أُلْقِيَ نَظْرَةً أُخْرَى عَلَى ذَاكَ الْعُشِّ الْقَدِيمِ لِلصَّفَرِ أَحْمَرِ الذِيلِ. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ فِكْرَةٍ أَنْ مَا رَأَيْتُهُ هُنَاكَ أُمْسٌ كَانَ بَيْضَةً، بَيْضَةً رَائِعَةً كَبِيرَةً بَيْضَاءَ. وَعَلَى آيَةٍ حَالٍ، لَا ضَرَرَ فِي الْإِقَاءِ نَظْرَةً أُخْرَى.»

طَارَ بِلَاكِي مُبَاشَرَةً نَحْوَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْمِلُ الْعُشَّ الْمُتَهَالِكَ الْكَبِيرَ لِلصَّفَرِ أَحْمَرِ الذِيلِ، وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا حَلَقَ عَالِيًّا؛ فَبِلَاكِي عِنْدَهُ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْفُطْنَةِ مَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَخَاطَرَةِ. إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَظُنُّ الْمَكَانَ خَطِرًا؛ وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَعْرِفَ مَا هُوَ خَفِيٌّ، وَمِنْ الْحِكْمَةِ دَائِمًا أَنْ تَلْزَمَ الْحَذَرَ. وَإِذْ مَرَّ مِنْ فَوْقِ قِمَّةِ الشَّجَرَةِ، نَظَرَ إِلَى أَسْفَلٍ بِلَهْفَةٍ. تَحَيَّلَ شُعُورُهُ عِنْدَمَا رَأَى «شَيْئَيْنِ» أَبْيَضَيْنِ فِي الْعُشِّ الْقَدِيمِ؛ شَيْئَيْنِ أَبْيَضَيْنِ يَبْدُوَانِ بَيْضَتَيْنِ بِلَا شَكٍّ! فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ كَانَ ثَمَّةَ شَيْءٍ وَاحِدٍ؛ وَصَارَ يَوْجَدُ «شَيْئَانِ». فَتَرَسَّخَتِ الْفِكْرَةُ فِي عَقْلِ بِلَاكِي؛ إِنَّهُمَا بَيْضَتَانِ! لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَا شَيْئًا آخَرَ.

وَاصَلَ بِلَاكِي الطَّيْرَانَ. فَلِسَبَبٍ مَا، لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى التَّوَقُّفِ حِينَهَا. كَانَ مُنْفَعِلًا لِلْغَايَةِ بِمَا اكْتَشَفَهُ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّفَكُّيرَ جَيِّدًا. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْرِقَ وَقْتًا لِيَجْمَعَ شَتَاتَ نَفْسِهِ. فَإِنَّمَا كَانَتْ مَنْ وَضَعَتْ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ فَإِنَّهَا كَبِيرَةٌ وَقَوِيَّةٌ. كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ. لَا بُدَّ أَنَّهُ طَائِرٌ أَكْبَرُ مِنْهُ كَثِيرًا، وَلَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي الْوُقُوعِ فِي الْمَتَاعِبِ، حَتَّى وَلَوْ فِي سَبِيلِ عَشَاءٍ مِنَ الْبَيْضِ الطَّارِجِ. يَجِبُ عَلَيْهِ أَوَّلًا أَنْ يَكْتَشِفَ مَنْ صَاحِبُ الْبَيْضَتَيْنِ، وَحِينَهَا سَيَعْرِفُ مَا عَلَيْهِ فِعْلُهُ. كَانَ مُتَأَكِّدًا أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَعْرِفُ بِوُجُودِ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمَا لَنْ تَهْرُبَا إِلَى أَيِّ مَكَانٍ؛ لِذَا وَاصَلَ الطَّيْرَانَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى شَجَرَةِ صَنْوَبِرٍ عَالِيَةٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهَا وَيَفَكِّرَ دُونَ أَنْ يُزْعَجَهُ أَحَدٌ.

بلاكي يَتَأَكَّدُ

تَمَّتَمَ قَائِلًا: «بَيَضَتَانِ! بَيَضَتَانِ حَقِيقَتَانِ! مَنْ ذَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ انْتَقَلَ إِلَى
مَنْزِلِ أَحْمَرِ الذَّيْلِ الْقَدِيمِ؟ وَمَا مَعْنَى وَضَعَ بَيَضَتَيْنِ قَبْلَ وَجُودِ أَيِّ بَادِرَةٍ عَلَى قُدُومِ السَّيِّدِ
رَبِيع؟ هَذَا يَفُوقُ الْإِحْتِمَالَ. إِنَّهُ بِالتَّأَكُّدِ يَفُوقُ الْإِحْتِمَالَ.»

الفصل الثالث

بلاكي يعرف صاحب البيضتين

بِیْضَتَانِ کَبِیرَتَانِ فِی عَشِّ مُتَهَالِکٍ، وَالتَّلَجُّ وَالْجَلِیدُ یُغْطِیَانِ کُلَّ شَیْءٍ! هَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْ قَبْلُ بِمِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ؟

تَمَّتِ الْعُرَابُ بِبَلاکِی قَائِلًا: «لَمْ أَكُنْ لِأُصَدِّقَ ذَلِكَ لَوْلَا أَنَّی رَأَيْتُهُ بِعَیْنِی. عَلَیَّ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا؛ فَإِذَا لَمْ أُصَدِّقْ عَیْنِی، فَلَا جَدْوَى مِنْ أَنْ أُصَدِّقَ أَيْ شَیْءٍ فِی هَذَا الْعَالَمِ. إِنَّنِی مُتَأَكِّدٌ مِنْ وُجُودِ بَیْضَتَیْنِ فِی هَذَا الْعَشِّ الْقَدِیمِ مِثْلَمَا أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّی أَجْلِسُ هُنَا. فَإِنَّمَا کَانَتْ مِنْ بَاضَتَهُمَا، فَإِنَّهَا لَمَجْنُونَةٌ إِذْ تَضَعُ بَیْضًا فِی هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ. یَجِبُ أَنْ أَكْشِفَ مَنْ صَاحِبَةُ الْبَیْضَتَیْنِ ثُمَّ ...»

لَمْ یُنْهَ بِبَلاکِی حَدِیثَهُ، وَلَکِنْ لَاحَتْ نَظْرَةُ جُوعٍ فِی عَیْنِهِ کَانَتْ تُخْبِرُ مَنْ یَرَاهَا — هَذَا إِنْ کَانَ ثَمَّةٌ مَنْ یَرَاهَا — أَنَّ بَلاکِی یَعْرِفُ فَائِدَةَ لِهَاتَیْنِ الْبَیْضَتَیْنِ. وَلَکِنْ لَمْ یَكُنْ ثَمَّةٌ أَحَدٌ فِی الْجَوَارِ لِیَرَى هَذِهِ النِّظْرَةَ، وَقَدْ حَرَصَ أَشَدَّ الْحَرِصِ عَلَى أَلَّا یَرَاهُ أَحَدٌ عِنْدَمَا اتَّجَهَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمُهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

فَكَّرَ بِبَلاکِی قَائِلًا: «سَوْفَ أَتَأَكَّدُ أَوَّلًا مِنْ وُجُودِ الْبَیْضَتَیْنِ فِی مَکَانِهِمَا.» ثُمَّ حَلَقَ عَالِیًا فَوْقَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ؛ لِكِی یَنْظُرَ لِأَسْفَلَ نَحْوَ الشَّجَرَةِ الَّتِی تَحْمِلُ عَشَّ أَحْمَرَ الذَّیْلِ الْقَدِیمِ عِنْدَمَا یَمُرُّ فَوْقَهَا. لَوْ کَانَ أَحَدٌ رَآهُ، مَا کَانَ ظَنَّ قَطُّ أَنَّهُ یَبْحَثُ عَنْ شَیْءٍ بِعَیْنِهِ؛ فَقَدْ بَدَأَ کَمَا لَوْ کَانَ یُحَلِّقُ فِی طَرِيقِهِ إِلَى مَکَانَ بَعِیدٍ. وَإِذَا مَا کَانَتْ الْبَیْضَتَانِ فِی مَکَانِهِمَا، کَانَ یَنْوِی الْعُودَةَ وَالِإِخْتِبَاءَ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ صَنْوَبِرٍ قَرِیبَةٍ لِكِی یُرَاقِبَهُمَا حَتَّى یَتَأَكَّدَ مِنْ إِمْکَانِیَّةِ سَرِقَتِهِمَا بِأَمَانٍ، أَوْ حَتَّى یَعْرِفَ لِمَنْ هُمَا.

خَفَقَ قَلْبُ بِلَاكِي بِسُرْعَةٍ مِنْ فَرَطِ الْإِثَارَةِ إِذِ اقْتَرَبَ مِنْ ذَلِكَ الْعُشِّ الْقَدِيمِ. اسْتَكُونُ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ الْكَبِيرَتَانِ هُنَاكَ؟ رُبَّمَا يَجِدُ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ! وَهَذِهِ الْفِكْرَةُ جَعَلَتْهُ يُرْفِرُ بِجَنَاحَيْهِ أَسْرَعَ قَلِيلًا. لَمْ يَتَبَقَّ إِلَّا بِضْعُ خَفَقَاتٍ بِجَنَاحَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ. كَمْ كَانَ يَتَمَنَّى رُؤْيَا هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ! كَانَ يَكَادُ يَرَى مَا دَاخَلَ الْعُشَّ. خَفَقَةً وَاحِدَةً، خَفَقَتَانِ، ثَلَاثَ خَفَقَاتٍ! عَصَّ بِلَاكِي لِسَانَهُ لِيَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ إِطْلَاقِ نَعِيقٍ حَادٍّ مِنْ فَرَطِ الْإِحْبَاطِ وَالذَّهْشَةِ.

لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ بَيْضَاتٍ! أَجَلَ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَثَرٍ لِبَيْضٍ فِي ذَلِكَ الْعُشِّ الْقَدِيمِ. لَمْ تَكُنِ الْبَيْضَتَانِ مَوْجُودَتَيْنِ؛ لِأَنَّ ... مَاذَا تَعْتَقِدُ؟ لَمْ تَكُنِ الْبَيْضَتَانِ مَوْجُودَتَيْنِ؛ لِأَنَّ بِلَاكِي رَأَى أَسْفَلَهُ مُبَاشَرَةً كُنْتَلَهُ مِنَ الرَّيشِ أَخْفَتُهُمَا عَنِ الْأَنْظَارِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ لِلنَّظَرِ مَرَّةً أُخْرَى لِيَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْكُنْتَلَةُ الْكَبِيرَةُ مِنَ الرَّيشِ مَا هِيَ إِلَّا طَائِرٌ ضَخْمٌ؛ الطَّائِرُ صَاحِبُ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ.

لَمْ يَعُدْ بِلَاكِي أَدْرَاجَهُ كَمَا خَطَّطَ سَابِقًا، وَإِنَّمَا وَاصَلَ طَيْرَانَهُ كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَرِ شَيْئًا، وَارْتَجَفَ قَلِيلًا أَتْنَاءَ الطَّيْرَانِ. ارْتَجَفَ بِلَاكِي؛ إِذْ تَحَيَّلَ مَا كَانَ سَيَحْدُثُ لَهُ لَوْ أَنَّهُ حَاوَلَ سَرَقَةَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ وَأُمْسِكَ بِهِ.

وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «حَمْدًا لِلَّهِ أَنَّنِي كُنْتُ حَكِيمًا بِأَنْ تَرَكْتُهُمَا وَشَأْنَهُمَا. الْغَرِيبُ أَنَّنِي لَمْ أَخْصَنَ قَطُّ مَنْ صَاحِبُهُمَا. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ أَعْرِفَ أَنَّهُ لَنْ يَفْكَرَ فِي وَضْعِ الْبَيْضِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ إِلَّا ذَكَرَ الْبُومَةِ الْقَرْنَاءِ هَوْتِي. وَقَدْ كَانَتِ السَّيِّدَةُ هَوْتِي هِيَ مَنْ رَأَيْتُ فِي الْعُشِّ الْآنَ. وَيَا لِلْهَوْلِ! كَمْ هِيَ ضَخْمَةٌ! إِنَّهَا أَكْبَرُ مِنَ السَّيِّدِ هَوْتِي نَفْسِهِ! مِنْ حُسْنِ الْحَظِّ أَنَّنِي لَمْ أُحَاوِلْ أَنْ أَحْصِلَ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ أَمْسَ. فَعَلَى الْأَرْجَحِ كَانَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هَوْتِي جَالِسَيْنِ قَرِيبًا مِنْهُمَا، وَلَكِنْ فِي سُكُونٍ بَالِغٍ حَتَّى إِنِّي ظَنَنْتُهُمَا جُزْءًا مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي يَجْلِسَانِ عَلَيْهَا. أِهْ يَا بِلَاكِي! كُلَّمَا أَسْرَعَتْ بِنِسْيَانِ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، كَانَ ذَلِكَ أَفْضَلَ.»

ثَمَّةَ أَشْيَاءَ خَيْرٍ لَكَ أَنْ تَنْسَاهَا
بِمُجَرَّدِ أَنْ تَعْرِفَهَا.
فَمَنْ لَا يَلْعَبُ بِالنَّارِ
لَا يُحْرِقُهُ لَهْيُهَا.

الفصل الرابع

دَهَاءُ بِلَاكِي

عِنْدَمَا اكْتَشَفَ بِلَاكِي أَنَّ الْبَيْضَتَيْنِ الْمَوْجُودَتَيْنِ فِي الْعُشِّ الْقَدِيمِ لِلصَّقْرِ أَحْمَرِ الذِيلِ فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ تَعُودَانِ لِلسَّيِّدِ هَوْتِي؛ اتَّخَذَ قَرَارًا مُمْتَارًا دُونَ تَرَدُّدٍ؛ وَهُوَ أَنَّهُ سَوْفَ يَنْسَى أَمْرَهُمَا تَمَامًا. سَوْفَ يَنْسَى تَمَامًا أَنَّهُ رَأَاهُمَا وَيَبْقَى بَعِيدًا عَنْ هَذَا الرُّكْنِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. كَانَ هَذَا قَرَارًا حَكِيمًا لِلْغَايَةِ؛ فَمِنْ بَيْنِ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ جَمِيعًا، لَا يُوْجَدُ مَنْ هُوَ أَشَدُّ عُنْفًا أَوْ شَرَّاسَةً مِنَ السَّيِّدِ هَوْتِي، مَا عَدَا السَّيِّدَةَ هَوْتِي. فَهِيَ أَضْحَمُّ مِنَ السَّيِّدِ هَوْتِي وَجَدِيرَةٌ تَمَامًا بِأَنْ يَخَافَهَا سُكَّانُ الْغَابَةِ الصَّغَارُ كَمَا يَخَافُونَ زَوْجَهَا.

كَانَ بِلَاكِي يَعِي ذَلِكَ كُلَّهُ، أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ آخَرَ. وَلَيْسَ بِلَاكِي بِمَنْ يُوْقَعُ نَفْسَهُ فِي الْمَتَاعِبِ بِإِرَادَتِهِ؛ لَذَا قَرَّرَ بِحِكْمَةٍ بِالْغَةِ أَنْ يَنْسَى أَمْرَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ فَإِنَّ اتِّخَاذَ الْقَرَارِ أَمْرٌ، وَالْإِلْتِزَامَ بِهِ أَمْرٌ آخَرُ تَمَامًا؛ فَقَدْ كَانَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ سَيَنْسَى، وَلَكِنَّ الْفِعْلَ أَصْعَبُ بِكَثِيرٍ. كَانَ الْوَضْعُ سَيَخْتَلِفُ لَوْ أَنَّهُ كَانَ فِي الرَّبِيعِ أَوْ فِي بَدَايَةِ الصَّيْفِ؛ حَيْثُ يَتَوَافَرُ كَثِيرٌ مِنَ الْبَيْضِ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْصَلَ عَلَيْهِ أَيُّ شَخْصٍ لَدَيْهِ مَا يَكْفِي مِنَ الذِّكَاةِ لِلْعُثُورِ عَلَى الْبَيْضِ وَسَرِقَتِهِ. وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ الْوَقْتَ كَانَ شَتَاءً آنَذَاكَ (وَهُوَ وَقْتُ يُسْتَبَعْدُ أَنْ يَضَعَ فِيهِ أَحَدٌ بَيْضًا!) وَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ إِيجَادَ مَا يَكْفِي مِنَ الطَّعَامِ لِسَدِّ جُوعِ الْغُرَابِ الْجَائِعِ، فَإِنَّ صُورَةَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ ظَلَّتْ تَلُحُّ عَلَى فِكْرِهِ؛ فَقَدْ «عَجَزَ» عَنْ نِسْيَانِهِمَا. وَبَعْدَ فِتْرَةٍ، كَفَّ عَنْ مُحَاوَلَةِ نِسْيَانِهِمَا.

وَلِإِنَّ بِلَاكِي يَتَسَمُّ بِقَدْرِ كَبِيرٍ مِنَ الدَّهَاءِ، وَهُوَ أَحَدُ أَدْنَى الطُّيُورِ الصَّغِيرَةِ. فَلَا أَحَدَ أَقْدَرُ مِنْهُ عَلَى تَدْبِيرِ الْحِيلِ لِلْآخَرِينَ دُونَ الْوُقُوعِ فِي الْمَتَاعِبِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُعْمَلُ ذِكَاةً

الْحَادِّ. بَلْ إِنَّ الْبَعْضَ بَلَغَتْ بِهِ الْقَسْوَةُ حَدًّا أَنْ يَقُولَ إِنَّهُ يَقْضِي وَقْتَ فَرَاغِهِ كُلَّهُ فِي تَدْبِيرِ الْحِيلِ. وَكُلَّمَا فَكَّرَ أَكْثَرَ فِي هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، زَادَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِمَا، وَسُرْعَانَ مَا بَدَأَ يُحَاوِلُ إِجَادَ طَرِيقَةٍ لِلْحُصُولِ عَلَيْهِمَا دُونَ أَنْ يُعَرِّضَ حَيَاتَهُ لِلْخَطَرِ.

فَكَرَّرَ قَائِلًا: «لَا أَسْتَطِيعُ فَعْلَ ذَلِكَ بِمُفْرَدِي، وَلَكِنِّي إِذَا أَطْلَعْتُ أَحَدًا عَلَى سِرِّي فَسَوْفَ أَضْطَرُّ لِنَقَاسِ الْبَيْضَتَيْنِ مَعَهُ. وَهَذَا لَنْ يَكُونَ؛ فَأَنَا أُرِيدُهُمَا لِنَفْسِي. أَنَا وَجَدْتُهُمَا، وَيَنْبَغِي أَنْ أَحْصِلَ عَلَيْهِمَا». وَنَسِيَ تَمَامًا — أَوْ تَنَاسَى — حَقِيقَةَ أَنَّ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ تَخْصَّانِ فِي الْوَاقِعِ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هَوْتِي دُونَ سَوَاهُمَا. وَفَكَرَّرَ: «لَأَرْ مَاذَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَفْعَلَ!»

رَاحَ يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ، وَشَيْئًا فَشَيْئًا بَدَأَتْ تَتَبَلَّوْرُ فِي رَأْسِهِ الْأَسْوَدِ الصَّغِيرِ خُطَّةً. ثُمَّ قَهَقَه ضَاحِكًا. قَهَقَه ضَاحِكًا بِصَوْتٍ عَالٍ، ثُمَّ نَظَرَ مِنْ حَوْلِهِ بِسُرْعَةٍ لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ أَحَدٌ قَدْ سَمِعَهُ. لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ، فَقَهَقَه ضَاحِكًا مَرَّةً أُخْرَى. ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ جَانِبًا وَعَيْنَاهُ نِصْفَ مُغْمَضَتَيْنِ، كَمَا لَوْ كَانَتْ الْخُطَّةُ شَيْئًا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَرَاهُ وَكَانَ يُمَعِنُ النَّظَرَ فِيهِ. ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ وَأَعَادَ الْكُرَّةَ.

وَأَخِيرًا قَالَ: «لَا بَأْسَ! سَتَكُونُ تِلْكَ الْخُطَّةُ مُمْتِنَةً لِأَقَارِبِي، وَهُمْ بِالطَّبَعِ سَيَكُونُونَ مُمْتَنِينَ لِي كَثِيرًا لِذَلِكَ. وَلَنْ تُؤْذِيَ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هَوْتِي الْبَتَّةَ، وَلَكِنَّهَا سَوْفَ تُغْضِبُهُمَا كَثِيرًا؛ فَهُمَا سَرِيعَا الْغَضَبِ، وَالْأَشْخَاصُ سَرِيعُو الْغَضَبِ غَالِبًا مَا يَنْسَوْنَ كُلَّ شَيْءٍ فِي غَضَبِهِمْ. سَوْفَ نَزُورُهُمَا عِنْدَمَا تَكُونُ الشَّمْسُ سَاطِعَةً؛ لِأَنَّهُمَا حِينَهَا رُبَّمَا لَنْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَرَيَا جَيِّدًا حَتَّى يُمَسِّكَ بِنَا، وَسَنْغِظُهُمَا حَتَّى يَشْتَاطَا غَضَبًا وَيَنْسَيَا أَمْرَ حِرَاسَةِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَحِينَهَا سَوْفَ أَنْسَلُّ وَأَحْذُ وَاحِدَةً مِنْهُمَا وَرُبَّمَا الْاِثْنَتَيْنِ. بِذَلِكَ سَيُسَاعِدُنِي أَصْدِقَائِي وَأَقَارِبِي فِي الْحُصُولِ عَلَى وَجَبَةِ شَهِيَّةٍ دُونَ عِلْمٍ مِنْهُمْ. يَا إِلَهِي! كَمْ سَتَكُونُ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ لَذِيذَتَيْنِ!»

كَانَتْ خُطَّةٌ ذَكِيَّةٌ وَمَاكِرَةٌ؛ فَبِلَاكِي وَغَدُ ذَكِيٍّ مَّاكِرٍ، وَلَكِنَّهَا بِالطَّبَعِ خُطَّةٌ لَا تَسْتَحِقُّ النَّجَاحَ؛ فَآيُّ شَيْءٍ يُسَبِّبُ قَلْقًا وَمَتَاعِبَ لَا دَاعِيَ لَهُمَا لِالْآخِرِينَ لَا يَسْتَحِقُّ النَّجَاحَ.

الفصل الخامس

بلاكي يَسْتَدْعِي أَصْدِقَاءَهُ

عِنْدَمَا يَنْعُقُ بِلَاكِي بِمِلءٍ فِيهِ،
يُهْرَعُ أَقَارِبُهُ
إِلَى حَيْثُ يَنْتَظِرُ ذَلِكَ الدَّاهِيَةَ.

إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ نَمَّةٌ حِيلَةٌ وَشَيْكَةٌ، وَدَائِمًا مَا تَكُونُ عَائِلَةُ الْغُرَبَانِ مُسْتَعِدَّةً لِلْحِيلِ. لِذَا فِي هَذَا الصَّبَاحِ، عِنْدَمَا سَمِعُوا بِلَاكِي يُطْلِقُ عَقِيرَتَهُ بِالنَّعِيقِ مِنْ نَاحِيَةِ أَطْوَلِ شَجَرَةِ صَنْوَبَرٍ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، هُرِعُوا إِلَيْهِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ، مُنَادِينَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِحِمَاسٍ وَكُلُّهُمْ ثِقَةً فِي أَنَّهُمْ سَيَمْضُونَ وَقْتًا طَيِّبًا.

ضَحِكَ بِلَاكِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ عِنْدَمَا رَأَاهُمْ قَادِمِينَ، وَصَاحَ قَائِلًا: «هَيَّا أَسْرِعُوا، كَاو! كَاو! كَاو! أَسْرِعُوا وَاخْفِقُوا بِأَجْنِحَتِكُمْ أَسْرَعَ. أَعْرِفُ مَكَانَ السَّيِّدِ هَوْتِي، وَسَوْفَ نَقْضِي وَقْتًا مُمْتِعًا مَعَهُ.»

فَصَاحَ جَمِيعُ أَقَارِبِهِ فِي سُورٍ: «كَاو! كَاو! كَاو! أَيْنَ هُوَ؟ خُذْنَا إِلَيْهِ. سَوْفَ نَدْفَعُهُ إِلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ!»

فَقَادَ بِلَاكِي أَقَارِبَهُ إِلَى ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَاتَّجَهَ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الشَّجَرَةِ الَّتِي يَنَامُ فِيهَا السَّيِّدُ هَوْتِي هَانِئًا. كَانَ بِلَاكِي قَدْ حَرَصَ عَلَى التَّسَلُّلِ مُبْكَرًا ذَلِكَ الصَّبَاحَ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ مَكَانِهِ تَحْدِيدًا. فَوَجَدَ هَوْتِي مُسْتَعْرِقًا فِي النَّوْمِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَبْقَى فِي مَكَانِهِ حَتَّى يَجِنَّ اللَّيْلُ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ، فَإِنَّ عَيْنَيَّ هَوْتِي لَا تَعْمَلَانِ جِدًّا فِي الضُّوءِ السَّاطِعِ، وَكَلَّمَا اشْتَدَّ سَطُوعُ الضُّوءِ، أَجْهَدْتُ عَيْنَاهُ أَكْثَرَ. كَانَ بِلَاكِي يَعْلَمُ ذَلِكَ أَيْضًا؛

لِذَا اخْتَارَ أَكْثَرَ أَوْقَاتِ النَّهَارِ سَطُوعًا لِمُنَادَاةِ أَقْرَبَائِهِ حَتَّى يُضَايِقُوا هَوْتِي الْمُسْكِينَ. كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرْحُ شَدِيدَ السُّطُوعِ، وَجَعَلَهُ التَّلَجُّ الْأَبْيَضُ عَلَى الْأَرْضِ يَبْدُو أَكْثَرَ سَطُوعًا. وَحَتَّى بِلَاكِي نَفْسُهُ اضْطُرَّ لِأَن يَطْرِفَ بِعَيْنَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الضَّوءِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هَوْتِي الْمُسْكِينَ سَيُوجِأُهُ صُعُوبَةً أَكْبَرَ.

وَلَكِنْ كَانَ نَمَّةَ أَمْرٍ وَاحِدٍ حَرَصَ بِلَاكِي عَلَى أَلَّا يُشِيرَ إِلَيْهِ بِأَيِّ شَكْلٍ؛ وَهُوَ أَنَّ السَّيِّدَةَ هَوْتِي كَانَتْ تَجْلِسُ بِالْقُرْبِ مِنَ السَّيِّدِ هَوْتِي. فَالسَّيِّدَةُ هَوْتِي أَكْبَرُ مِنَ السَّيِّدِ هَوْتِي حَجْمًا وَأَشْرُسُ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ بِلَاكِي يَرْغَبُ فِي إِثَارَةٍ دُخِرَ أَقَارِبِهِ الْأَقْلُّ جُرْأَةً. وَمَا كَانَ يَأْمُلُ فِي حُدُوثِهِ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ الْمَاكِرِ هُوَ أَنَّهُمْ عِنْدَمَا يَبْدُءُونَ فِي إِغَاظَةِ السَّيِّدِ هَوْتِي وَمُضَايَقَتِهِ وَإِحْدَاثِ الْجَلَبَةِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَعْرِفُ أَنَّهُمْ سَيُحْدِثُونَهَا، سَوْفَ تَغْضَبُ السَّيِّدَةُ هَوْتِي وَتَطِيرُ لِيَتَنَزَّمَّ إِلَى السَّيِّدِ هَوْتِي فِي مُحَاوَلَةٍ إِبْعَادِ تِلْكَ الطَّيُورِ السُّودَاءِ الْمُزْعِجَةِ. وَحِينَهَا يَتَسَلَّلُ بِلَاكِي إِلَى الْعُشِّ الَّذِي تَرَكْتَهُ دُونَ حِرَاسَةٍ وَيَسْرِقُ بَيْضَةً أَوْ رُبَّمَا يَسْرِقُ الْبَيْضَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَعْرِفُ بَوُجُودَهُمَا فِيهِ.

عِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي يَجْلِسُ عَلَيْهَا هَوْتِي، كَانَ يَطْرِفُ بِعَيْنَيْهِ الصَّفْرَاوَيْنِ الْوَاسِعَتَيْنِ وَقَدْ انْتَفَشَ رِيشُهُ، وَهُوَ مَا يَفْعَلُهُ عِنْدَمَا يَغْضَبُ، لِيَبْدُو ضَعْفَ حَجْمِهِ الْحَقِيقِيِّ. بِالطَّبْعِ، كَانَ هَوْتِي قَدْ سَمِعَ السَّرْبَ الْمُزْعِجَ قَادِمًا، وَعَلِمَ تَمَامًا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَوَقَّعَهُ مِنْهُمْ. وَمَا إِنْ رَأَوْهُ، حَتَّى بَدَّءُوا فِي الصِّيَاحِ بِأَعْلَى صَوْتِهِمْ وَسَبَّهِ بِأَقْدَعِ الْأَلْفَاظِ. وَكَانَ أَجْرُهُمْ يَنْقُصُ عَلَيْهِ كَمَا لَوْ كَانَ سَيَنْتَزِعُ مِلءَ فَمِهِ مِنْ رِيشِهِ، وَلَكِنْ مَعَ تَوَخُّي أَشَدَّ الْحَذَرِ مِنْ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ أَكْثَرُ مِنَ اللَّازِمِ. فَطَرِيقُهُ فَحِيحِ هَوْتِي وَطَقْطَقَةِ مَنَقَارِهِ الْكَبِيرِ كَانَتْ تُنذِرُ بِخَطَرٍ بَالِغٍ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِذَا مَا أَمْسَكَ بِأَحَدِهِمْ بَيْنَ مَخَالِبِهِ الْقَوِيَّةِ الْكَبِيرَةِ، فَسَتَكُونُ نَهَائَتُهُ.

وَلِذَا اكْتَفَوْا بِسَبِّهِ وَالصِّيَاحِ عَلَيْهِ وَالتَّلْحِيْقِ حَوْلَهُ، بَعِيدًا عَنِ مُنَاوَلِ مَخَالِبِهِ، وَبِإِشْعَارِهِ بِالْإِنْزِعَاجِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ، وَكَانُوا مِنْهُمْ كَيْنَ لِلْغَايَةِ فِي ذَلِكَ حَتَّى إِنْ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَلْحَظْ أَنَّ بِلَاكِي لَمْ يَشْرَكَ فِي اللَّهْوِ، وَلَمْ يَنْتَبِهْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِعُشِّ الصَّفْرِ أَحْمَرَ الذِّلِّ الْقَدِيمِ عَلَى بُعْدِ بَضْعِ أَشْجَارٍ. فَحَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ، كَانَتْ خُطْطُ بِلَاكِي تَسِيرُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي أَمَّلَهُ.

الفصل السادس

السَّيِّدُ هَوْتِي لَمْ يَبْقَ فِي مَكَانِهِ

مَا جَدَوَى الْخُطْبِ الذِّكْيَةِ
إِنْ لَمْ يَسِرِ الْآخَرُونَ عَلَيْهَا؟

إِذَا لَمْ يَكُنْ بِلَاكِي قَالَ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ فَكَّرَ فِيهِ. فَهُوَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ وَضَعَ خُطَّةً
بَارِعَةً مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى بَيْضَتِي السَّيِّدِ هَوْتِي؛ خُطَّةً ذَكْيَةً وَبَارِعَةً لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ آخَرُ
فِي الْغَايَةِ الْخَضِرَاءِ أَوْ فِي الْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ لِيَفَكَّرَ فِيهَا. وَلَكِنْ كَانَتْ ثَمَّةَ نَقْطَةٍ ضَعِيفٍ
وَحِيدَةٍ بِهَا؛ وَهِيَ أَنَّهَا كَانَتْ تَعْتَمِدُ فِي نَجَاحِهَا عَلَى أَنْ يَلْزَمَ هَوْتِي سُلُوكُهُ الْمُعْتَادَ عِنْدَمَا
يُضَافُكَ سَرَبٌ مِنَ الْغُرَبَانِ الْمُرْعَجَةِ؛ أَلَا وَهُوَ الْبَقَاءُ فِي مَكَانِهِ حَتَّى تَتَعَبَ الْغُرَبَانُ وَتَطِيرَ
بَعِيدًا.

بِلَاكِي أحيانًا مَا يَقَعُ فِي خَطِّ كَثِيرٍ مَا يَقَعُ فِيهِ الْأَذْكِيَاءُ؛ فَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ بِمَا أَنَّهُ ذَكْيٌ
لِلْغَايَةِ فَالْآخَرُونَ أَغْبِيَاءُ. وَهَذَا يَثْبُتُ أَنَّهُ، رَغْمَ ذَكَائِهِ، لَيْسَ ذَكْيًا بِالدَّرَجَةِ الَّتِي يَظُنُّهَا.
فَهُوَ دَائِمًا مَا كَانَ يَظُنُّ السَّيِّدَ هَوْتِي غَبِيًّا. هَذَا هُوَ مَا كَانَ يَرَاهُ فِيهِ أَثْنَاءَ النَّهَارِ. وَلَكِنْ
فِي اللَّيْلِ، عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ مِنْ نَوْمٍ عَمِيقٍ عَلَى صَوْتِ نَعِيقِ هَوْتِي الْمَجْلَجِلِ إِذْ يَصْطَادُ، لَا
يَظَلُّ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ هَوْتِي غَبِيٌّ، وَكَانَ دَائِمًا مَا يَحْرِصُ عَلَى الْبَقَاءِ ثَابِتًا فِي الظَّلَامِ؛ خَشْيَةً
أَنْ تَسْمَعَهُ أُنْثَى هَوْتِي الْكَبِيرَتَانِ، وَتَجِدَهُ عَيْنًا هَوْتِي الْوَاسِعَتَانِ الْمُخَصَّصَتَانِ لِلرُّؤْيَةِ فِي
الظَّلَامِ. فَأَثْنَاءَ اللَّيْلِ كَانَ بِلَاكِي يَفْقَدُ يَقِينَهُ فِي غَبَاءِ هَوْتِي تَمَامًا.

وَلَكِنَّهُ فِي النَّهَارِ كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ غَبِيٌّ؛ فَقَدْ نَسِيَ تَمَامًا حَقِيقَةَ أَنَّ صَوَاءَ النَّهَارِ
بِالنِّسْبَةِ إِلَى هَوْتِي مِثْلُ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. فَبَقَاءُ هَوْتِي فِي مَكَانِهِ وَفَحِيحُهُ وَطَقَطَقَتُهُ

بِمَنْقَارِهِ — عَوْضًا عَنْ مُحَاوَلَةِ إِمْسَاكِ الْمُرْعَجِينَ أَوْ الطَّيْرَانَ بَعِيدًا — جَعَلَتْ بِلَاكِي يَصِفُهُ بِالْغَبَاءِ. وَكَانَ مُتَيَقِّنًا مِنْ أَنَّ هَوْتِي سَيَبْقَى فِي مَكَانِهِ، وَيَأْمُلُ أَنْ تَغَضَبَ السَّيِّدَةُ هَوْتِي وَتَتْرَكَ الْعُشَّ الَّذِي تَرْفُدُ فِيهِ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ وَتَنْضَمَّ إِلَى هَوْتِي لِمُسَاعَدَتِهِ فِي إِبْعَادِ هَذَا السَّرْبِ الْمُرْعَجِ.

لَكِنَّ هَوْتِي لَيْسَ غَيْبًا، لَيْسَ غَيْبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي اكْتَشَفَ فِيهَا أَنَّ بِلَاكِي وَأَصْدِقَاءَهُ عَرَفُوا مَكَانَهُ، فَكَّرَ فِي السَّيِّدَةِ هَوْتِي وَالْبَيْضَتَيْنِ الْغَالِيَتَيْنِ الْمَوْجُودَتَيْنِ فِي الْعُشِّ الْقَدِيمِ لِلصَّقَرِ أَحْمَرَ الذِيلِ عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْهُ.

فَفَكَّرَ قَائِلًا لِنَفْسِهِ: «يَجِبُ أَلَّا نَزْعَجَ السَّيِّدَةَ هَوْتِي. هَذَا لَنْ يَكُونَ. يَجِبُ أَنْ أُبْعِدَ هَؤُلَاءِ الْأَوْغَادِ السُّودَ بَعِيدًا حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُونَ اكْتِشَافَ مَكَانِ السَّيِّدَةِ هَوْتِي. لَا بَدَّ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ وَلَا شَكَّ.»

لِذَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْكَبِيرَيْنِ وَطَارَ مَسَافَةً قَصِيرَةً بَيْنَ الْأَشْجَارِ مُتَرَنِّحًا. لَمْ يُحَاقِّقْ بَعِيدًا لِأَنَّهُ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي بَدَأَ فِيهَا الطَّيْرَانِ تَبِعَهُ السَّرْبُ الْمُرْعَجُ كُلُّهُ بِاسْتِثْنَاءِ بِلَاكِي. وَلِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ اسْتِخْدَامَ مَخَالِيهِ أَوْ مَنْقَارِهِ أَثْنَاءَ الطَّيْرَانِ، اِزْدَادَتْ جُرْأَتُهُمْ حَتَّى اقْتَلَعُوا بَعْضَ الرِّيشِ مِنْ ظَهْرِهِ؛ لِذَا طَارَ مَسَافَةً قَصِيرَةً حَتَّى شَجَرَةٍ شَوْكَرَانٍ كَثِيفَةٍ الْأَغْصَانِ؛ حَيْثُ لَنْ تَسْتَطِيعَ الْغُرَبَانِ الْوُصُولَ إِلَيْهِ بِسُهُولَةٍ وَلَنْ يُؤْذِيَهُ ضَوْءُ النَّهَارِ كَثِيرًا. وَهُنَاكَ اِزْتَاخَ قَلِيلًا ثُمَّ أَعَادَ الْكُرَّةَ. كَانَ يَنْوِي تَوْجِيهَ تِلْكَ الْغُرَبَانِ الْمُرْعَجَةِ نَحْوَ الْجُزْءِ الْمُظْلَمِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ، وَهُنَاكَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرَى أَفْضَلَ وَرُبَّمَا يَتَهَوَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا يَكْفِي لِأَنْ يَفْتَرِبَ حَتَّى يَصِيرَ فِي مُتَنَاوِلِ يَدِهِ. لَمْ يَكُنْ هَوْتِي غَيْبًا. هَذَا مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ.

انْتَبَهَ بِلَاكِي لِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ بَيْنَمَا كَانَ قَابِعًا عَلَى قِمَّةِ شَجَرٍ صَنْوَبَرٍ عَالِيَةٍ يُرَاقِبُ الْمَوْقِفَ فِي صَمْتٍ. كَانَ يَرَى السَّيِّدَةَ هَوْتِي فِي الْعُشِّ، وَبَيْنَمَا كَانَتْ ضَوْضَاءُ مُرْعَجِي السَّيِّدِ هَوْتِي تَتَبَعُدُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، اعْتَدَلَتْ فِي رَقْدَتِهَا وَأَغْمَضَتْ عَيْنَيْهَا. تَخَيَّلَ بِلَاكِي أَنَّهَا تَبْتَسِمُ لِنَفْسِهَا، وَكَانَ وَاضِحًا أَنَّهَا لَا تَفَكِّرُ مُطْلَقًا فِي الذَّهَابِ لِمُسَاعَدَةِ هَوْتِي. لَقَدْ فَشَلَتْ خُطَّتُهُ الرَّائِعَةُ؛ لِأَنَّ هَوْتِي الْغَيْبِيَّ — وَالَّذِي لَمْ يَكُنْ غَيْبًا عَلَى الْإِطْلَاقِ — طَارَ بَعِيدًا عِنْدَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَبْقَى فِي مَكَانِهِ. كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا مُسْتَفْزِرًا لِلْغَايَةِ.

الفصل السابع

بلاكي يُجَرِّبُ خُطَّةً جَدِيدَةً

عِنْدَمَا تَفْشَلُ خُطَّةٌ، جَرِّبْ غَيْرَهَا؛
أَعْلِنْ أَنَّكَ سَتَفُوزُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَوْ بغيرِهَا.

النَّاجِحُونَ هُمُ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ لَا يَسْتَسْلِمُونَ لِأَنَّهُمْ أَخَفَقُوا فِي التَّجَرِبَةِ الْأُولَى. إِنَّهُمْ
الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ — بِمُجَرَّدِ أَنْ تَفْشَلْ خُطَّةٌ — يَنْشَغِلُونَ عَلَى الْفَوْرِ بِتَدْبِيرِ أُخْرَى
وَتَجَرِّبِيهَا. وَإِذَا كَانَ مَا يُحَاوِلُونَ فِعْلَهُ أَمْرًا صَالِحًا، فَعَاجِلًا أَوْ آجَلًا سَوْفَ يَنْجَحُونَ.
وَإِذَا كَانُوا يُحَاوِلُونَ فِعْلًا مُنْكَرًا، فَفِي أَغْلَبِ الْأَحْوَالِ تَفْشَلُ خُطَّتُهُمْ، وَهَذَا مَا تَسْتَحِقُّهُ.
يَعْلَمُ الْغُرَابُ بِلَاكِي قِيَمَةِ الْمُتَابَرَةِ. وَهُوَ لَا يَبْتَئِسُ بِسَهُولَةٍ. أحيانًا يَكُونُ ذَلِكَ مَدْعَاةً
لِلْأَسَفِ؛ لِأَنَّهُ يُدَبِّرُ كَثِيرًا مِنَ الْحِيلِ. وَلَكِنَّ الْحَقِيقَةَ تَظَلُّ أَنَّهُ لَا يَبْتَئِسُ بِسَهُولَةٍ، وَيَظَلُّ
يُحَاوِلُ وَيُحَاوِلُ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ التَّفَكِيرَ فِي خُطَّةٍ أُخْرَى، وَعِنْدَهَا «يُضْطَرُّ» لِلِاسْتِسْلَامِ.
وَعِنْدَمَا دَعَا أَقَارِبَهُ كُلَّهُمْ لِلانْضِمَامِ إِلَيْهِ فِي إِزْعَاجِ السَّيِّدِ هَوْتِي، اعْتَقَدَ أَنَّ لَدَيْهِ خُطَّةً لَا
يُمْكِنُ أَنْ تَفْشَلَ. وَكَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ السَّيِّدَةَ هَوْتِي سَوْفَ تَتْرَكَ عَشَّهَا وَتُسَاعِدُ هَوْتِي فِي
إِبْعَادِ الْمُرْعَجِينَ. وَلَكِنَّ السَّيِّدَةَ هَوْتِي لَمْ تَفْعَلْ؛ لِأَنَّ هَوْتِي كَانَ ذَكِيًّا وَقَطْنًا بِمَا يَكْفِي لِأَنْ
يُوجَّهَ هَوْلًا الْمُرْعَجِينَ بَعِيدًا عَنِ الْعُشِّ نَحْوَ الْجُزْءِ الْمُظْلَمِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ حَيْثُ لَنْ
تُزْعَجَ ضَوْضَاؤُهُمُ السَّيِّدَةَ هَوْتِي. لِذَا اعْتَدَلْتُ فِي رَفْدَتِهَا عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَ بِلَاكِي
يَأْمُلُ أَنْ تَمْنَحَهُ فُرْصَةً لِسِرْقَتِهِمَا، وَبِهَذَا أَفْسَدْتُ خُطَّتَهُ الْمُحْكَمَةَ.

لَمْ يَلْحَظْ أَحَدٌ مِنْ أَقَارِبِهِ هَذَا الْعُشَّ؛ حَيْثُ كَانُوا مَشْغُولِينَ تَمَامًا بِإِغَاظَةِ هَوْتِي. وَهَذَا
مَا كَانَ بِلَاكِي يَأْمُلُ فِي حَدُوثِهِ. فَلَمْ يَكُنْ يَرْعُبُ فِي أَنْ يَعْلَمُوا بِأَمْرِ الْعُشِّ؛ لِأَنَّهُ أَنَانِيٌّ وَأَرَادَ

أَنْ يَحْصُلَ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ وَحْدَهُ. وَلَكِنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّ الطَّرِيقَةَ الْوَحِيدَةَ لِجَعْلِ السَّيِّدَةِ هَوْتِي تَقُومُ مِنْ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ هِيَ مُضَايَقَتُهَا حَتَّى تَغْضَبَ وَتَحَاوِلَ الْإِمْسَاكَ بِمُضَايَقِهَا. وَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، فَسَتَسْنَحُ الْفُرْصَةَ لِأَنْ يَتَسَلَّلَ وَيَأْخُذَ بَيْضَةً وَاحِدَةً عَلَى الْأَقْلَى مِنَ الْبَيْضَتَيْنِ. وَقَرَّرَ أَنْ يَحَاوِلَ تَجَرِبَةَ ذَلِكَ.

أَصَاحَ بِلَاكِي السَّمْعَ بِضَعِ دَقَائِقَ مُصْغِيًا إِلَى ضَوْضَاءِ أَقَارِبِهِ الَّتِي رَاحَتْ تَخْفُتُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، بَيْنَمَا رَاحَ هَوْتِي يَتَوَغَّلُ بِهِمْ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ دَاخِلَ الْغَايَةِ الْخَضِرَاءِ. وَحِينَهَا فَتَحَ فَمَهُ. صَاحَ بِلَاكِي مُنَادِيًا: «كَأُو كَاوُ كَاوُ! كَاوُ كَاوُ كَاوُ! كَاوُ! كَاوُ! كَاوُ! كَاوُ! كَاوُ! كَاوُ! هَا هِيَ السَّيِّدَةُ هَوْتِي فِي عُشِّهَا! كَاوُ كَاوُ كَاوُ!»

مَا إِنْ سَمِعَ أَقَارِبُ بِلَاكِي ذَلِكَ، حَتَّى تَوَقَّفُوا عَنْ مُطَارَدَةِ السَّيِّدِ هَوْتِي وَإِزْعَاجِهِ وَعَادُوا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ؛ فَهَمُّ لَمْ يُجْبُوا الْجُزْءَ الْمُظْلَمَ مِنَ الْغَايَةِ الْخَضِرَاءِ، الَّذِي كَانَ هَوْتِي يَقُودُهُمْ إِلَيْهِ. كَمَا أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَرَوْا ذَلِكَ الْعُشَّ؛ لَذَا عَادُوا مُطْلَقِينَ عَقِيرَتَهُمْ بِالنَّعِيقِ مِنْ فَرْطِ حَمَاسِهِمْ. فَبَعْضُهُمْ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى عُشًّا لِهَوْتِي مِنْ قَبْلُ. وَعَلَى آيَةٍ حَالٍ، فَقَدْ كَانَ إِزْعَاجُ السَّيِّدَةِ هَوْتِي مُمْتَعًا بِنَفْسِ الْقَدْرِ كِإِزْعَاجِ السَّيِّدِ هَوْتِي.

صَاحُوا قَائِلِينَ: «أَيْنَ الْعُشُّ؟» بَيْنَمَا عَادُوا إِلَى حَيْثُ كَانَ بِلَاكِي يَنْعُقُ مُتَظَاهِرًا بِبَالِغِ الْإِثَارَةِ.

فَقَالَ أَحَدُهُمْ مُتَعَجِّبًا: «عَجَبًا! هَذَا هُوَ الْعُشُّ الْقَدِيمُ لِلصَّقْرِ أَحْمَرِ الذِيلِ. إِنَّنِي أَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ هَذَا الْعُشِّ». وَنَظَرَ إِلَى بِلَاكِي كَمَا لَوْ كَانَ يَطُنُّ أَنَّهُ يَخْدَعُهُمْ. فَرَدَّ بِلَاكِي قَائِلًا: «كَانَ عُشُّ أَحْمَرِ الذِيلِ، وَلَكِنَّهُ الْآنَ عُشُّ هَوْتِي. إِذَا كُنْتُ لَا تُصَدِّقُنِي، فَالْقِ نَظْرَةً بِدَاخِلِهِ».

وَفِي لَمَحِ الْبَصَرِ حَلَقُوا جَمِيعًا فَوْقَ قِمَّةِ الشَّجَرَةِ؛ حَيْثُ يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى الْعُشِّ. وَبِالْفِعْلِ، كَانَتِ السَّيِّدَةُ هَوْتِي قَابَعَةً فِيهِ وَعَيْنَاهَا الْكَبِيرَتَانِ الْمُسْتَدِيرَتَانِ الصَّفْرَاوَانِ تَنْظُرَانِ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ. وَيَا لِلْجَلْبَةِ الَّتِي ثَارَتْ! عَلَى الْفُورِ نَسَبَتِ الْغُرَابَانُ أَمْرَ السَّيِّدِ هَوْتِي، وَفُورًا بَدَأَ السَّرْبُ كُلُّهُ يَضَاقُ السَّيِّدَةَ هَوْتِي. كَانَ بِلَاكِي هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي جَلَسَ يُشَاهِدُ فِي صَمْتٍ، مُنْتَظِرًا غَضَبَ السَّيِّدَةِ هَوْتِي وَمَحَاوِلَتَهَا إِمْسَاكَ أَحَدِ مُضَايَقِهَا. كَانَ لَدَيْهِ أَمَلٌ — أَمَلٌ كَبِيرٌ — فِي أَنْ يَحْصُلَ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ.

الفصل الثامن

هوتي يهب لنجدة السيِّدة هوتي

لَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعِيشَ لِنَفْسِهِ فَقَطْ. يَعْتَقِدُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْخَاصِ أَنَّهُمْ يُمَكِّنُهُمْ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ مُخْطِئُونَ لِلْغَايَةِ. وَهُمْ يَقْعُونَ فِي خَطَأٍ مِنْ أَعْظَمِ الْأَخْطَاءِ فِي الْعَالَمِ؛ فَكُلُّ فَعْلٍ صَغِيرٍ — أَيَّا كَانَ — يُؤَثِّرُ فِي شَخْصٍ آخَرَ. وَهَذَا هُوَ أَحَدُ الْقَوَانِينِ الْعَظِيمَةِ لَدَى الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ، وَيَسْرِي بَيْنَ سَكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ وَالْمَرْجِ الْخَضِرَاءِ، وَكَذَلِكَ بَيْنَ الْأَوْلَادِ وَالْبَنَاتِ وَالْبَالِغِينَ. إِنَّهَا طَرِيقَةُ الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ لِجَعْلِنَا مَسْئُولِينَ عَنِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ وَلِتَعْلِيمِنَا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَاوَنَ دَوْمًا.

وَكَمَا تَعْلُمُونَ، عِنْدَمَا نَادَى بِلَاكِي جَمِيعَ أَقَارِبِهِ لِلْمَجِيءِ إِلَى الْعُشِّ الَّذِي تَرَقُدُ فِيهِ السَيِّدَةُ هوتي عَلَى بَيْضَتَيْهَا، تَوَقَّفُوا عَلَى الْفُورِ عَنْ مَضَايِقَةِ هوتي وَتَرَكَوْهُ وَجِدًّا عَلَى شَجَرَةِ الشُّوْكَرَانِ كَثِيفَةِ الْأَغْصَانِ فِي الْجَانِبِ الْمُظْلِمِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ. بِالطَّبَعِ كَانَ هوتي مَسْرُورًا لِأَنَّهُمْ تَرَكَوْهُ فِي سَلَامٍ، وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَقْضِيَ بَقِيَّةَ النَّهَارِ نَائِمًا مُسْتَرِحًا فِي هَذَا الْمَكَانِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ... أَجَلَ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ. فِي الْبِدَايَةِ تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ وَاسْتَقَرَّ فِي مَجْلِسِهِ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَنْوِي الْبَقَاءَ. وَأَنْصَتَ فِي سُرُورٍ لِأَصْوَاتِ تِلْكَ الْغُرْبَانِ الْمُرْجَعَةِ وَهِيَ تَخَفَتُ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ لِيَضِعَ دَقَائِقَ فَحَسْبُ. فَسَرَعَانَ مَا بَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ تَتَعَالَى، وَبَدَتْ فِيهَا الْإِتَارَةُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، وَكَانَتْ تَأْتِي مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ. حِينَهَا عَلِمَ هوتي أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُرْجَعِينَ قَدْ اكْتَشَفُوا الْعُشَّ الَّذِي تَقْبَعُ فِيهِ السَيِّدَةُ هوتي، وَأَنَّهُمْ يُزْعِجُونَهَا كَمَا كَانُوا يُزْعِجُونَهُ.

طَقَطَقَ مِنْقَارُهُ بِغَضَبٍ ثُمَّ أَعَادَ الْكُرَّةَ بِغَضَبٍ أَشَدَّ.

وَنَمْتَمَ مُتَدَمِّرًا: «أَعْتَقِدُ أَنَّ السَّيِّدَةَ هَوْتِي قَادِرَةٌ تَمَامًا عَلَى الْإِعْتِنَاءِ بِنَفْسِهَا، وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي إِزْعَاجُهَا بَيْنَمَا تَرْقُدُ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. أَكْرَهُ أَنْ أَعُودَ إِلَى هُنَاكَ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ السَّاطِعِ؛ فَهُوَ يُؤْذِي عَيْنَيَّ، وَأَنَا أَكْرَهُ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّي سَأُضْطَرُّ لِلْعُودَةِ إِلَى هُنَاكَ؛ فَالسَّيِّدَةُ هَوْتِي تَحْتَاجُ مُسَاعَدَتِي. كُنْتُ أَفْضَلُ الْبَقَاءِ هُنَا، وَلَكِنْ ...»

لَمْ يَنْهَ كَلَامَهُ، وَإِنَّمَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْكَبِيرَيْنِ وَحَلَّقَ عَائِدًا إِلَى الْعُشِّ وَإِلَى السَّيِّدَةِ هَوْتِي. لَمْ يُحَدِّثْ جَنَاحَاهُ الْكَبِيرَانِ أَيَّ صَوْتٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا مُعَدَّانِ لِلطَّيْرَانِ فِي صَمْتٍ. وَقَالَ مُتَمَتِّمًا: «إِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْسِكَ بِأَحَدِ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَانِ! إِذَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أُمْسِكَ بِأَحَدِ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَانِ، فَسَوْفَ ...» وَلَمْ يَقُلْ مَاذَا سَيَفْعَلُ، وَلَكِنْ إِذَا كُنْتُ قَرِيبًا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي لِسَمَاعِ طُقُفَةٍ مِنْقَارِهِ، كُنْتُ سَتَحْمَنُ الْبَقِيَّةَ.

طَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتُ كَانَتِ الْغُرَبَانُ تَقْضِي مَا تَسْمِيهِ وَقْتُاً مُمْتِعًا مَعَ السَّيِّدَةِ هَوْتِي، وَلَكِنْ لَا مُتْعَةً حَقِيقِيَّةً فِي عَمَلٍ يُزْعِجُ الْآخَرِينَ، غَيْرَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْخَاصِ يَنْسَوْنَ ذَلِكَ لِسَبَبٍ أَوْ لِآخَرَ. وَبَيْنَمَا جَلَسَ بِلَاكِي يَنْفَرِّجُ، رَاحَ أَقَارِبُهُ يَثْرَوْنَ ضَجَّةً عَظِيمَةً حَوْلَ السَّيِّدَةِ هَوْتِي، وَكُلَّمَا ارْزَادَ غَضَبُهَا، ارْزَادَ صِيَاحُهُمْ وَسَبُّهُمْ لَهَا وَانْقِصَاضُهُمْ عَلَيْهَا، مُتَظَاهِرِينَ بِأَنَّهُمْ سَيَقَاتِلُونَهَا. كَانَ الْغُرَبَانُ مُنْهَمِكِينَ لِلْغَايَةِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ بِلَاكِي مُنْهَمِكًا تَمَامًا فِي مُرَاقَبَتِهِمْ — أَمَلًا أَنْ تَتَرَكَ السَّيِّدَةُ هَوْتِي الْعُشَّ وَتَمْنَحُهُ الْفُرْصَةَ لِسَرِقَةِ الْبَيْضَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَعْرِفُ أَنَّهَا تَرْقُدُ عَلَيْهِمَا — حَتَّى إِنْ أَحَدًا لَمْ يَفْكُرْ فِي السَّيِّدِ هَوْتِي.

وَفَجْأَةً، ظَهَرَ هَوْتِي عَلَى الشَّجَرَةِ الْمُلَاصِقَةِ لِلْعُشِّ! لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدُهُمْ قَادِمًا، وَلَكِنَّهُ ظَهَرَ فَجْأَةً، وَقَدْ أُمْسَكَ بَيْنَ مَخَالِبِ إِحْدَى قَدَمَيْهِ رِيَشَ ذَيْلِ أَحَدِ أَقَارِبِ بِلَاكِي. كَانَ الْغُرَابُ مَحْظُوظًا، مَحْظُوظًا لِلْغَايَةِ بِالْفِعْلِ؛ حَيْثُ كَانَ ضَوْءُ الشَّمْسِ يُعْمِي عَيْنَيَّ هَوْتِي، فَلَمْ يَصِبْ هَدَفَهُ. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتِ الْغُرَبَانُ قَلَّتْ وَاحِدًا.

وَإِنَّ إِغَاظَةَ بَوْمَةٍ وَاحِدَةٍ شَيْءٌ، وَإِغَاظَةَ بَوْمَتَيْنِ مَعَ شَيْءٍ آخَرَ تَمَامًا. وَإِلَى جَانِبِ ذَلِكَ، كَانَتْ هُنَاكَ رِيَشَاتُ الذَّيْلِ السَّوْدَاءِ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْهَوَاءُ نَحْوَ الْأَرْضِ الْمَغْطَاةِ بِالنُّوْجِ. وَفَجْأَةً قَرَّرَتِ الْغُرَبَانُ أَنَّهَا قَدْ حَصَلَتْ عَلَى مَا يَكْفِي مِنَ الْمُنْعَةِ لِهَذَا الْيَوْمِ، وَعَلَى الرِّغْمِ مِنْ كُلِّ جُحُودِ بِلَاكِي لِإِقْفَافِهِمْ، حَلَقُوا بَعِيدًا، صَائِحِينَ بِصَوْتٍ عَالٍ وَمُتَحَاوِرِينَ بِجَلَبَةٍ شَدِيدَةٍ. كَانَ بِلَاكِي آخِرَ مَنْ غَادَرَ الْمَكَانَ، كَسِيرِ الْفُؤَادِ. وَرَاحَ يَفْكُرُ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ.

الفصل التاسع

بلاكي يفكر في ابن المزارع براون

قال بلاكي متذمراً: «يا له من حظ سيئ!» بينما طار نحو شجرتة المفضلة ليفكر قليلاً. وأردف لنفسه: «حظ سيئ بالفعل! كل جبراني يعرفون الآن بأمر عش السيد هوتي، وعاجلاً أو آجلاً، سوف يكتشف أحدهم أن به بيضتين. لكن عزائي الوحيد هو أنني إذا لم أستطع الحصول عليهما، فلن يستطيع أحد. بمعنى آخر، لن يستطيع أحد أقاربي الحصول عليهما؛ فقد حاولت بكل ما خطر على بالي من سبل، وما زالت هاتان البيضتان حيث هما. يا إلهي! كم أود الحصول على إحداهما الآن!»

بعد ذلك، فعل بلاكي شيئاً كثيراً ما يفعله الأشرار عندما تخيب آمالهم؛ إذ بدأ في إلقاء اللوم على الأشخاص الذين كان يحاول الإضرار بهم لفشل خططه. وإذا كنت سمعته بينما يحدث نفسه، كنت ظننت أن هاتين البيضتين ملكه حقاً وأن السيد والسيدة هوتي قد سرقاهما منه. أجل! هذا ما كنت ستفكر فيه إذا استطعت سماعه بينما يحدث نفسه على قمة الشجرة. وهو في غمرة إحباطه لعدم حصوله على هاتين البيضتين، كان يرثي حاله، حتى إنه شعر حقاً بأن الظلم وقع عليه هو؛ وأنه كان يجب على السيد والسيدة هوتي أن يسمحا له بالحصول على البيضتين.

بالطبع كانت تلك حماقة خالصة، ولكنه أقنع نفسه بها، أو على الأقل، تظاهر باقتناعه بها. وكلما ازداد تظاهره بذلك، ازداد غضبه. وهذا غالباً ما يحدث للأشخاص الذين يحاولون إيذاء الآخرين. فهم يغضبون من الأشخاص الذين يحاولون إيذاءهم. وعندما اضطر بلاكي في النهاية إلى أن يقر لنفسه بأنه لا يستطيع التفكير في طريقة

أُخْرَى لِلْحُصُولِ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، بَدَأَ فِي التَّسْأُولِ عَمَّا إِذَا كَانَ ثَمَّةَ طَرِيقَةٍ لِإِيقَاعِ السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هَوْتِي فِي الْمَتَاعِبِ. وَحِينَهَا فَكَّرَ فِي ابْنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ.

بَرَقَتْ عَيْنًا بِلَاكِي؛ إِذْ تَذَكَّرَ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ كَانَ فِي الْمَاضِي يَسْعُدُ بِسَرِقَةِ أَعْشَاشِ الطُّيُورِ. فَقَدْ رَأَاهُ بِلَاكِي يَأْخُذُ الْبَيْضَ مِنْ أَعْشَاشِ أَقَارِبِ بِلَاكِي نَفْسِهِ وَمِنْ أَعْشَاشِ كَثِيرٍ مِنَ الطُّيُورِ الْآخَرَى. لَمْ يَكُنْ لَدَى بِلَاكِي أَيَّةُ فِكْرَةٍ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ بِالْبَيْضِ، وَلَمْ يَهْتَمَّ بِذَلِكَ آنَ ذَاكَ. فَإِذَا اكْتَشَفَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ عُشَّ هَوْتِي مُصَادَفَةً، فَمِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ سَيَأْخُذُ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، وَحِينَهَا يَرْتَاحُ بِلَاكِي إِلَى حَدٍّ مَا. فَسَوْفَ يَشْعُرُ بِأَنَّهُ نَالَ انْتِقَامَهُ مِنْ هَوْتِي.

عَلَى الْفُورِ بَدَأَ بِلَاكِي التَّفَكُّيرَ فِي طَرِيقَةٍ يَسْتَدْرِجُ بِهَا ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ إِلَى ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ حَيْثُ يَقَعُ عُشُّ هَوْتِي. وَإِذَا اسْتَطَاعَ اجْتِدَابَهُ إِلَى هُنَاكَ، فَإِنَّهُ مُتَأَكَّدٌ مِنْ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ سَوْفَ يَرَى الْعُشَّ وَيَتَسَلَّقُ الشَّجَرَةَ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ، وَعِنْدَهَا سَيَأْخُذُ الْبَيْضَتَيْنِ بِلَا شَكٍّ. فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ بِلَاكِي أَنْ يَأْخُذَ الْبَيْضَتَيْنِ لِنَفْسِهِ، فَإِنَّ أَفْضَلَ شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ هُوَ أَنْ يَرَى أَحَدًا غَيْرَهُ يَأْخُذُهُمَا.

يَا إِلَهِي! يَا إِلَهِي! يَا لَهَا مِنْ أَفْكَارٍ بَغِيضَةٍ! أَخَشَى أَنْ قَلْبَ بِلَاكِي أَسْوَدَ كَلَوْنِ رِيَشِهِ، وَالْأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَجِدُ مُتَعَةً كَبِيرَةً فِي تَنْفِيزِ خُطْبِهِ الشَّرِيرَةِ. وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ يَبْعِي تَمَامًا فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنَّهَا خُطُطُ شَرِيرَةٍ، فَقَدْ حَاوَلَ اخْتِلَاقَ الْأَعْذَارِ لِنَفْسِهِ.

فَقَالَ لِنَفْسِهِ: «إِنَّ هَوْتِي لِرَّصٍّ، وَالْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ؛ فَهُوَ يَقْتَاتُ عَلَى الْآخَرِينَ. وَعَلَى حَدِّ عِلْمِي، فَإِنَّهُ لَا يَفْعَلُ أَيَّ خَيْرٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ. وَهُوَ ضَخْمٌ وَشَرِسٌ وَلَا أَحَدٌ يُجِبُّهُ. وَسَتَكُونُ الْغَابَةُ الْخَضِرَاءُ مَكَانًا أَفْضَلَ مِنْ دُونِهِ. وَإِذَا فُقِسَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ، فَسَتُخْرِجَانِ بَوْمَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ تَحْتَاجَانِ إِلَى الطَّعَامِ، وَسَوْفَ تَكْبُرَانِ لِتُصْبِحَا بَوْمَتَيْنِ ضَخْمَتَيْنِ، مِثْلَ أُمَّهُمَا وَأَبِيهِمَا. فَإِذَا أَرَيْتُ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ هَذَا الْعُشَّ وَأَخَذَ الْبَيْضَتَيْنِ، فَسَأَكُونُ قَدْ فَعَلْتُ خَيْرًا بِجِيرَانِي».

هَكَذَا حَدَّثَ بِلَاكِي نَفْسَهُ وَحَاوَلَ إِسْكَاتَ الصَّوْتِ الْخَافِتِ الصَّغِيرِ دَاخِلَهُ الَّذِي حَاوَلَ أَنْ يُخْبِرَهُ أَنَّ مَا يُحْطَطُّ لَهُ أَمْرٌ بَغِيضٌ حَقًّا. وَظَلَّ طَوَالَ الْوَقْتِ يَرْتَقِبُ قُدُومَ ابْنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ.

ابن المزارع براون وهوتي

كَانَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن قَدَ قَرَّرَ زِيَارَةَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. جُزْءٌ مِّنَ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ كَانَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ آخَرَ يَفْعَلُهُ، وَالْجُزْءُ الْآخَرُ كَانَ أَنَّ الشِّتَاءَ كَانَ قَدْ شَارَفَ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ وَأَرَادَ أَنْ يَتَفَقَّدَ أَحْوَالَ الْغَابَةِ، وَيَرَى مَا إِذَا كَانَ ثَمَّةٌ مَا يَدُلُّ عَلَى اقْتِرَابِ قُدُومِ الرَّبِيعِ. رَأَاهُ الْغُرَابُ بِلَاكِي قَادِمًا، وَضَحِكَ فِي نَفْسِهِ؛ فَقَدْ كَانَ يَتَرَقَّبُ حَدُوثَ ذَلِكَ كُلِّ يَوْمٍ طَوَالَ أُسْبُوعٍ. وَصَارَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُخْبِرَ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن بِشَأْنِ عَشِّ هُوتِي.

طَارَ بِلَاكِي إِلَى الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ حَيْثُ بَنَى السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هُوتِي عَشَّهُمَا، وَبَدَأَ يَنْعُقُ فَوْرًا بِأَعْلَى صَوْتِهِ مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ مُتَحَمِّسٌ لِلْغَايَةِ لِاِكْتِشَافِهِ شَيْئًا مَا. صَاحَ بِلَاكِي: «كَأُو! كَأُو! كَأُو! كَأُو!» وَفِي النَّوِّ أَسْرَعَ إِلَيْهِ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ أَقَارِبِهِ. فَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ كَانَ يُزْعِجُ هُوتِي وَأَرَادُوا مُشَارَكَتَهُ اللَّهْوِ. وَسُرْعَانَ مَا ثَارَتْ ضَجَّةٌ كَبِيرَةٌ فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

بِالطَّبْعِ سَمِعَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن هَذِهِ الضَّجَّةَ، فَتَوَقَّفَ وَأَنْصَتَ، وَقَالَ: «يَا تُرَى مَاذَا وَجَدَ بِلَاكِي وَأَصْدِقَاؤُهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟ عِنْدَمَا يُصْدِرُونَ ضَجِيجًا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ، عَادَةً مَا يَكُونُ ثَمَّةُ أَمْرٍ يَسْتَحِقُّ الْمَشَاهِدَةَ. أَعْتَقِدُ أَنَّي سَأَذْهَبُ وَأُلْقِي نَظْرَةً.»

فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَإِذْ رَاحَ يَدْنُو، تَحَرَّكَ بِحَذَرٍ شَدِيدٍ لِكَيْ يَرَى أَكْثَرَ مَا يَسْتَطِيعُ رُؤْيَتَهُ دُونَ إِخَافَةِ الْغُرَبَانِ؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ بِمَجَرَّدِ أَنْ يَرَوْهُ سَوْفَ يَطِيرُونَ بَعِيدًا، وَذَلِكَ رُبَّمَا يُنبِئُ الطَّائِرَ الَّذِي يُزْعِجُونَهُ، فَهُوَ يَعْلَمُ جَيِّدًا طَبْعَ

الْغُرَبَانِ، حَتَّى إِنَّهُ صَارَ يَعْرِفُ أَنَّهُمْ حِينَمَا يُحْدِثُونَ مِثْلَ ذَلِكَ الضَّجِيجِ، فَإِنَّهُمْ يُزْعَجُونَ أَحَدَهُمْ.

كَانَ بِلَاكِي أَوَّلَ مَنْ رَأَاهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرْتَقِبُ قُدُومَهُ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْبَسْ بِبَنْتِ شَفَةِ حَتَّى دَنَا ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ كَثِيرًا إِلَى أَنْ لَمْ يَعُدْ ثَمَّةَ مَفَرٍّ مِنْ أَنْ يَرَى ذَلِكَ الْعُشَّ وَهُوَتِي نَفْسُهُ، الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ مُنْتَصِبًا وَيُطَقِّطُقُ بِمِنْقَارِهِ عَضْبًا مِنْ مُزْعِجِيهِ. بَعْدَ ذَلِكَ أَطْلَقَ بِلَاكِي الْإِنْذَارَ، وَعَلَى الْفُؤْرِ طَارَتْ كُلُّ الْغُرَبَانِ لِأَعْلَى وَتَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ، مُطْلَقَةً عَقِيرَتَهَا بِالنَّعِيقِ. ذَهَبَ بِلَاكِي مَعَهُمْ لِمَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ، وَفِي أَوَّلِ فُرْصَةٍ لَاحَتْ لَهُ انْفَصَلَ عَنِ السَّرْبِ وَطَارَ عَائِدًا فِي هُدُوءٍ إِلَى مَكَانٍ يَسْتَطِيعُ مِنْهُ أَنْ يَرَى كُلَّ مَا قَدْ يَحْدُثُ عِنْدَ عُشِّ هَوْتِي.

عِنْدَمَا وَقَعَتْ عَيْنَا ابْنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ عَلَى الْعُشِّ وَرَأَى الْغُرَبَانِ تَنْقَضُ عَلَيْهِ وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهَا الْإِثَارَةُ، شَعَرَ بِالْحَيْرَةِ.

فَكَرَّرَ قَائِلًا: «هَذَا عُشُّ قَدِيمٍ لِلصَّفَرِ أَحْمَرَ الذِيلِ. لَقَدْ وَجَدْتُهُ فِي الرَّبِيعِ الْمَاضِي، فَمَا الَّذِي قَدْ يَثِيرُ الْغُرَبَانَ فِيهِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ؟»

ثُمَّ رَأَى ذَكَرَ الْبُومَةِ هَوْتِي، فَهَتَفَ قَائِلًا: «آه! هَكَذَا إِذَنْ. لَقَدْ عَنَرُ هَوْلَاءِ الْأَوْعَادِ عَلَى هَوْتِي وَمَا انْفَكُّوا يُضَايِقُونَهُ. تَرَى مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ هُنَاكَ؟»

لَمْ يَعُدْ يَحَاوِلُ الْإِخْتِبَاءَ، وَإِنَّمَا سَارَ إِلَى أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ مُبَاشَرَةً، نَازِلًا لِأَعْلَى طَوَالَ الْوَقْتِ. فَرَأَاهُ هَوْتِي وَلَكِنَّهُ عَوْضًا عَنْ أَنْ يُحَلِّقَ بَعِيدًا، رَاحَ يُطَقِّطُقُ بِمِنْقَارِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ مَعَ الْغُرَبَانِ وَيُصْدِرُ فَحِيحًا.

فَكَرَّرَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ قَائِلًا: «هَذَا غَرِيبٌ. لَوْ أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْعُشَّ هُوَ الْعُشُّ الْقَدِيمُ لِلصَّفَرِ أَحْمَرَ الذِيلِ، وَلَوْ لَمْ نَكُنْ مَا زِلْنَا فِي نِهَايَةِ الشَّتَاءِ، لَكُنْتُ ظَنَنْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ عُشُّ هَوْتِي.»

دَارَ الصَّبِيُّ حَوْلَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ يَنْظُرُ لِأَعْلَى. وَفَجْأَةً انْتَفَضَ دَهْشَةً. هَلْ هَذَا ذَبِيلُ يَبْرُ مِنْ حَافَةِ الْعُشِّ؟ فَأَمْسَكَ بَعْصًا وَأَلْقَاهَا لِأَعْلَى، فَضَرَبَتْ قَاعِدَةَ الْعُشِّ، وَطَارَ مِنْهُ طَائِرٌ صَخْمٌ. كَانَ هَذَا الطَّائِرُ هُوَ السَّيِّدَةُ هَوْتِي! فَضَحِكَ الْغُرَابُ بِلَاكِي فِي سِرِّهِ.

الفصل الحادي عشر

ابن المزارع براون يتعرّض للإغراء

عِنْدَمَا يُغْوِيكَ الْخَطَاُ
يَحِينُ وَقْتُ قُوتِكَ.
أَغْمِضْ عَيْنَيْكَ وَأَقْبِضْ يَدَيْكَ؛
تَجِدْ عَوْنًا عَلَى رَغْبَتِكَ.

عِنْدَمَا يَكُونُ الطَّائِرُ رَاقِدًا فِي عُشٍّ، فَهَذِهِ عَلَامَةٌ مُؤَكَّدَةٌ عَلَى أَنَّ الْعُشَّ بِهِ شَيْءٌ قِيمٌ. إِنَّهَا عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّ الطَّائِرَ اتَّخَذَهُ مَنَزَلًا؛ لِذَا، عِنْدَمَا رَأَى ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوِنَ السَّيِّدَةِ هَوْتِي تَرَقَّدُ فِي الْعُشِّ الْقَدِيمِ لِلصَّقَرِ أَحْمَرَ الذَّيْلِ فِي الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْعَابَةِ الْخَضِرَاءِ، عَلِمَ مَا يَعْينِي ذَلِكَ. رُبَّمَا يَجْدُرُ بِي أَنْ أَقُولَ إِنَّهُ عَلِمَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْينِي ذَلِكَ. فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْينِي ذَلِكَ وَجُودَ بَيْضٍ فِي الْعُشِّ.

لَكِنْ كَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ بَرَاوِنَ أَنْ يُصَدِّقَ ذَلِكَ؛ فَالرَّيْبُ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ! وَكَانَتِ التَّلَوُّجُ لَا تَزَالُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَا تَزَالُ الْبِرْكَةُ الْبَاسِمَةُ مُغَطَّاءً بِالْجَلِيدِ. مَنْ سَمِعَ بِطَائِرٍ يَضَعُ بَيْضًا فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ؟ بِالتَّأَكُّيدِ لَيْسَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوِنَ. إِلَّا أَنْ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هَوْتِي كَانَا يَتَصَرَّفَانِ تَمَامًا مِثْلَمَا تَتَصَرَّفُ الطُّيُورُ كُلُّهَا عِنْدَمَا يَكُونُ لَدَيْهَا بَيْضٌ تَخَافُ عَلَيْهِ. كَانَ الْأَمْرُ مُحِيرًا لِلْغَايَةِ.

تَمَتَّعَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوِنَ لِنَفْسِهِ بَيْنَمَا كَانَ يُحَدِّقُ لِأَعْلَى نَحْوِ الْعُشِّ: «الصَّقَرُ أَحْمَرَ الذَّيْلِ هُوَ مَنْ بَنَى هَذَا الْعُشَّ وَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُصْلِحْهُ حَتَّى. وَإِذَا كَانَ هَوْتِي وَزَوْجَتُهُ قَدْ اتَّخَذَاهُ مَنَزَلًا، فَإِنَّهُمَا لَا يَعْرِفَانِ شَيْئًا عَنْ بِنَاءِ الْأَعْشَاشِ. وَإِذَا كَانَتِ السَّيِّدَةُ هَوْتِي قَدْ

وَضَعَتْ بَيْضًا فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، فَلَا بُدَّ أَنَّهَا مَجْنُونَةٌ. أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ إِلَّا بِتَسْلُقِ الشَّجَرَةِ. إِنَّهَا تَبْدُو حَمَاقَةً، وَلَكِنِّي سَأَفْعَلُهَا. إِنَّ زَوْجَ الْيَوْمِ ذَاكَ يَنْصَرِفُ بِالتَّأَكِيدِ كَمَا لَوْ كَانَ شَدِيدَ الْقَلْقِ عَلَى شَيْءٍ مَا، وَسَوْفَ أَكْتَشِفُ هَذَا الشَّيْءَ.»

نَظَرَ إِلَى السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هَوْتِي، وَإِلَى مَنَقَارِيهِمَا الْمَعْقُوفَيْنِ وَمَخَالِبِهِمَا الْعَظِيمَةِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ عَصَا غَلِيظَةً؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ يَرْغَبُ فِي الْوُقُوعِ بَيْنَ تِلْكَ الْمَخَالِبِ. وَعِنْدَمَا وَجَدَ عَصَا تَنَاسُبَهُ، بَدَأَ فِي تَسْلُقِ الشَّجَرَةِ. طَقَطَقَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هَوْتِي بِمَنَقَارِيهِمَا وَأَصْدَرَا فَحِيحًا شَرَسًا، وَاقْتَرَبَا مِنْهُ. ظَلَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَن يُرَاقِبُهُمَا. بَدَا ضَخْمَيْنِ وَشَرَسَيْنِ لِلْغَايَةِ، حَتَّى إِنَّهُ كَادَ يَسْتَسْلِمُ وَيَتَرَكُّهُمَا فِي سَلَامٍ. وَلَكِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتَشِفَ مَا إِذَا كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ فِي الْعُشِّ؛ لِذَا وَاصَلَ التَّسْلُقَ. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنَ الْعُشِّ، قَفَزَتِ السَّيِّدَةُ هَوْتِي بِالْقُرْبِ مِنْهُ، وَطَقَطَقَتْ بِمَنَقَارِهَا مُصْدِرَةً صَوْتًا رَهِيْبًا. فَأَمْسَكَ بِعَصَاهُ وَاسْتَعَدَّ لِلضَّرْبِ بِهَا وَوَاصَلَ صُغُودَهُ.

كَانَ الْعُشُّ عِبَارَةً عَنْ هَيْكَلٍ ضَخْمٍ يَتَكَوَّنُ مِنَ الْعِصِيِّ. وَعِنْدَمَا بَلَغَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَن، أَكْتَشَفَ أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَكَانٍ يَنْظُرُ مِنْهُ إِلَى دَاخِلِ الْعُشِّ؛ لِذَا مَدَّ يَدَهُ لِأَعْلَى وَتَحَسَّسَ مَا بِدَاخِلِهِ. وَعَلَى الْفُورِ تَقْرِيْبًا لَمَسَتْ أَصَابِعُهُ شَيْئًا أَقْشَعَرَ لَهُ بَدَنُهُ. كَانَ هَذَا الشَّيْءُ بَيْضَةً، بَيْضَةً ضَخْمَةً كَبِيرَةً! لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَكٍّ فِي ذَلِكَ. وَقَدْ وَجَدَ صُغُوبَةً فِي تَصْدِيقِ ذَلِكَ مِثْلَمَا حَدَثَ لِبِلَاكِي عِنْدَمَا رَأَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ. قَبَضَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَنَ عَلَى الْبَيْضَةِ وَأَخْرَجَهَا مِنَ الْعُشِّ. قَفَزَتِ السَّيِّدَةُ هَوْتِي قَرِيبًا جِدًّا مِنْهُ، وَكَادَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَنُ يُسْقِطُ الْبَيْضَةَ مِنْ يَدِهِ إِذْ لَوَحَ بِعَصَاهُ فِي وَجْهِ السَّيِّدَةِ هَوْتِي. وَحِينَهَا بَدَأَ أَنَّ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ هَوْتِي فَقَدَا شَجَاعَتَهُمَا وَانْسَحَبَا إِلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ، حَيْثُ وَقَفَا يُطَقَطِقَانِ بِمَنَقَارِيهِمَا وَيُطْلِقَانِ فَحِيحَهُمَا الْغَاضِبَ.

حِينَهَا نَظَرَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَنُ إِلَى الْغَنِيمَةِ الَّتِي كَانَ مُمَسِّكًا بِهَا فِي يَدِهِ. كَانَتْ بَيْضَةً كَبِيرَةً لَوْنُهَا أَلْبِيضُ ضَارِبٌ إِلَى الصُّفْرِ. فَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ. يَا لَهَا مِنْ غَنِيمَةٍ رَائِعَةٍ يُضِيفُهَا إِلَى مَجْمُوعَتِهِ مِنْ بَيْضِ الطُّيُورِ! كَانَتْ أَوَّلَ بَيْضَةٍ بَوْمَةٍ قَرْنَاءَ — أَكْبَرَ أَنْوَاعِ الْيَوْمِ — يَرَاهَا فِي حَيَاتِهِ.

تَحَسَّسَ الْعُشَّ مِنْ دَاخِلِهِ مَرَّةً أُخْرَى وَاکْتَسَفَ وُجُودَ بَيْضَةِ أُخْرَى، فَقَالَ: «سَوْفَ
أَخْذُ كُلَّتا الْبَيْضَتَيْنِ. إِنَّهُ أَوَّلُ عُشٍّ أَعْتَرُ عَلَيْهِ لِهَوْتِي، وَرُبَّمَا لَا أَجِدُ عُشًّا آخَرَ مَا حَيَّيْتُ. يَا
إِلَهِي! كَمْ أَنَا سَعِيدٌ بِمَجِيئِي إِلَى هُنَا لِمَعْرِفَةِ سَبَبِ الْجَلْبَةِ الَّتِي أَثَارَتْهَا تِلْكَ الْغُرْبَانُ. تَرَى
هَلْ سَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْزِلَ بِهِمَا دُونَ أَنْ أَكْسِرَهُمَا؟»
وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ تَذَكَّرَ أَمْرًا؛ تَذَكَّرَ أَنَّهُ قَدْ تَوَقَّفَ عَنْ جَمْعِ الْبَيْضِ، وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ قَرَّرَ
أَلَّا يَأْخُذَ بَيْضَةَ طَائِرٍ مَرَّةً أُخْرَى.
هَمَسَ الشَّيْطَانُ الصَّغِيرُ بِدَاخِلِهِ: «وَلَكِنَّ هَذَا مُخْتَلِفٌ. لَيْسَ هَذَا كَأَخْذِ الْبَيْضِ مِنَ
الطُّيُورِ الْمُغَرَّدَةِ الصَّغِيرَةِ.»

الفصل الثاني عشر

مَعْرَكَةُ أَعْلَى شَجَرَةٍ

الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَطَا وَالصَّوَابِ،
كَالْفَرْقِ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

لَيْسَ ثَمَّةُ شَيْءٍ فِي الْمُنْتَصَفِ؛ فَيَأْمَأَنَّ الشَّيْءَ خَطَاً وَإِمَّا أَنَّهُ صَوَابٌ، وَهَذِهِ هِيَ كُلُّ الْخِيَارَاتِ الْمَتَاحَةِ. وَلَكِنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ يَجِدُونَ صُعُوبَةً كَبِيرَةً فِي إِدْرَاكِ ذَلِكَ عِنْدَمَا تَشْتَدُّ رَغْبَتُهُمْ فِي شَيْءٍ يُخْبِرُهُمْ صَوْتُ مَا زَالَ خَافِتًا بِدَاخِلِهِمْ أَنَّهُ خَطَاً. فَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَصِلُوا إِلَى حَلٍّ وَسَطٍ. وَالْحَلُّ الْوَسْطُ يَكُونُ بِأَلَّا تَفْعَلَ هَذَا الشَّيْءَ أَوْ ذَاكَ، وَلَكِنْ بَعْضًا مِنْ هَذَا وَبَعْضًا مِنْ ذَاكَ. وَلَكِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ فِي حَالَةِ الصَّوَابِ وَالْخَطَا. إِنَّهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ، وَلَكِنْ نِصْفَ الصَّوَابِ لَا يَرْقَى أَبَدًا لِمُسْتَوَى الصَّوَابِ الْكَامِلِ، بَيْنَمَا نِصْفُ الْخَطَا غَالِبًا — فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ — مَا يَكُونُ بِمِثْلِ سُوءِ الْخَطَا الْكَامِلِ.

كَانَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن — إِذْ اعْتَلَى الشَّجَرَةَ بِجَوَارِ عَشٍّ هَوْتِي فِي الرُّكْنِ الْمَهْجُورِ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ — يَخُوضُ مَعْرَكَةً. لَا، لَمْ يَكُنْ يَتَعَارَكُ مَعَ السَّيِّدِ هَوْتِي أَوِ السَّيِّدَةِ هَوْتِي، وَإِنَّمَا كَانَتْ الْمَعْرَكَةُ دَائِرَةً فِي دَاخِلِهِ. كَانَتْ مَعْرَكَةً بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطَا؛ فَفِي الْمَاضِي كَانَ يَجِدُ سَعَادَةً بِالْعَةِ فِي جَمْعِ بَيْضِ الطُّيُورِ، مُحَاوِلًا مَعْرِفَةَ كَمِّ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْمُخْتَلِفَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَيْهِ. وَلَكِنْ عِنْدَمَا ارْتَدَّادَتْ مَعْرِفَتُهُ بِسُكَّانِ الْغَابَةِ وَالْمَرْجُوحِ الصَّغَارِ، أَدْرَكَ أَنَّ أَخْذَ بَيْضِ الطُّيُورِ خَطَاٌ لَا يُغْتَفَرُ، وَتَوَقَّفَ عَنْ سِرِّقَتِهِ. وَتَعَهَّدَ بِأَلَّا يَسْرِقَ بَيْضَةً مِنْ طَائِرٍ ثَانِيَةً.

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَثَرَ مِنْ قَبْلُ عَلَى عُشٍّ لِلْبُومَةِ هُوتِي. فَكَانَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ سَمْتَلَانِ إِصَافَةً عَظِيمَةً إِلَى مَجْمُوعَتِهِ. قَالَ لَهُ الصَّوْتُ الْخَافِتُ فِي دَاخِلِهِ: «خُذْهُمَا! إِنَّ هُوتِي لِيَصُ، إِنَّكَ سَتُسَيِّدِي إِلَى الطُّيُورِ الْأُخْرَى مَعْرُوفًا بِأَخْذِ الْبَيْضَتَيْنِ».

وَقَالَ صَوْتُ خَافَتْ آخَرُ: «لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ. رُبَّمَا كَانَ هُوتِي لِيَصُ، وَلَكِنَّ لَهُ دَوْرًا فِي الْغَايَةِ الْخَضِرَاءِ، وَإِلَّا فَمَا كَانَتْ الطَّبِيعَةُ الْأُمُّ الْعَجُوزُ لَتَضَعُهُ هُنَا. وَسَرَقَةٌ بِيَضَّتِيهِ لَا تَفْرِقُ شَيْئًا عَنْ سَرَقَةِ بِيَضَّةِ أَيِّ طَائِرٍ آخَرَ، وَلَهُ حَقُّ الْإِحْتِفَاطِ بِبِيَضَّتِيهِ مِثْلُ حَقِّ النُّمْنِمَةِ جِنِي فِي الْإِحْتِفَاطِ بِبِيَضِّهَا».

قَالَ الصَّوْتُ الْأَوَّلُ: «خُذْ وَاحِدَةً وَاتْرِكِ الْأُخْرَى».

فَرَدَّ الصَّوْتُ الثَّانِي: «سَرَقَةٌ وَاحِدَةً كَسَرَقَةٍ الْاِثْنَتَيْنِ. وَعِلَاقَةٌ عَلَى ذَلِكَ، سَوْفَ تُخْلِفُ عَهْدَكَ؛ فَأَنْتَ قُلْتَ إِنَّكَ لَنْ تَأْخُذَ بِيَضَّةَ أُخْرَى أَبَدًا».

قَالَ ابْنُ الْمُرَارِعِ بَرَاوَنٍ بِصَوْتٍ عَالٍ: «أَنَا لَمْ أَعِدْ أَحَدًا سِوَايَ». وَعَلَى وَقْعِ صَوْتِهِ، طَقَطَقَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ هُوتِي — الْجَالِسَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الْمُجَاوِرَةِ — بِمِنْقَارَيْهِمَا وَأَطْلَقَا فَحِيحًا أَعْلَى مِنْ ذِي قَبْلُ.

قَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ الصَّالِحُ: «إِنَّ قَطْعَ الْوَعْدِ لِنَفْسِكَ مِثْلُ قَطْعِ الْوَعْدِ لِأَيِّ شَخْصٍ آخَرَ. وَلَا عَجَبَ فِي اسْتِهْجَانِ هُوتِي».

قَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ الْأَوَّلُ: «فَكَّرْ كَمْ سَتَبْدُو هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ جَمِيلَتَيْنِ وَسَطَ مَجْمُوعَتِكَ، وَكَمْ سَتَفْخَرُ بِعَرَضِهِمَا عَلَى الْأَوْلَادِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَعْتُرُوا مِنْ قَبْلُ عَلَى عُشٍّ لِهُوتِي».

أَصَافَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ الصَّالِحُ قَائِلًا: «وَفَكَّرْ كَمْ سَتَشْعُرُ بِالْوَضَاعَةِ وَالذَّنَاءَةِ وَالْحَقَارَةِ كُلَّمَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمَا. سَوْفَ تَكُونُ مُتَعَنِّكَ أَكْبَرَ بِكَثِيرٍ إِذَا تَرَكْتَهُمَا تُفْقَسَانِ ثُمَّ رَاقَبْتَ الْبُومَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ تَكْبَرَانِ وَتَتَعَلَّمَانِ طُرُقَ عَيْشِهِمَا. فَكَّرْ فَحَسْبُ فِي مَدَى شَجَاعَةِ هُوتِي وَجُرْأَتِهِ بِتَأْسِيسِهِ أُسْرَةً فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ، وَكَمْ هُوَ رَائِعٌ أَنْ تَسْتَطِيعَ السَّيِّدَةُ هُوتِي إِبْقَاءَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ دَافِتَتَيْنِ وَالْعِنَايَةَ بِالْبُومَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ عِنْدَمَا تُفْقَسَانِ، قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الْآخَرُونَ فِي بِنَاءِ أَعْشَاشِهِمْ مِنَ الْأَسَاسِ. هَذَا إِلَى جَانِبِ أَنْ الْخَطَأَ خَطَأً وَالصَّوَابَ صَوَابًا دَائِمًا».

مَعْرَكَةُ أَعْلَى شَجَرَةٍ

مَدَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَنَ يَدَهُ لِأَعْلَى فَوْقَ حَافَةِ الْعُشِّ بِبُطْءٍ وَأَعَادَ الْبَيْضَةَ، ثُمَّ بَدَأَ فِي
النُّزُولِ مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ، ابْتَعَدَ قَلِيلًا وَوَقَفَ يَرِاقِبُ الْعُشَّ. وَعَلَى
الْفُورِ طَارَتِ السَّيِّدَةُ هَوْتِي إِلَى الْعُشِّ وَرَقَدَتْ عَلَى الْبَيْضَتَيْنِ، بَيْنَمَا جَلَسَ السَّيِّدُ هَوْتِي
قَرِيبًا مِنْهَا لِجِرَاسَتِهَا.

قَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَنَ: «أَنَا سَعِيدٌ لِأَنِّي لَمْ أَخْذُهُمَا. أَجَلٌ أَنَا سَعِيدٌ.»
وَإِذْ اسْتَدَارَ عَائِدًا أَذْرَاجَهُ إِلَى الْمَنْزِلِ، رَأَى الْغُرَابَ بِلَاكِي مُحَلِّقًا فَوْقَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ،
وَلَمْ يَكُنْ لِيُخَمِّنَ أَنَّهُ أَفْسَدَ خُطَطَ بِلَاكِي.

الفصل الثالث عشر

بلاكي يُغَيِّرُ رَأْيَهُ

لَمْ يَكُنْ قَلْبُ الْغُرَابِ بِلَاكِي أَسْوَدَ بِالْكَامِلِ. نَعَمْ، بِالْفِعْلِ، إِنَّ رِيْشَهُ أَسْوَدُ وَأَحْيَانًا يَبْدُو كَأَنَّ قَلْبَهُ أَسْوَدُ تَمَامًا، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ. بَدَأَ قَلْبُهُ أَسْوَدَ تَمَامًا بِالتَّأْكِيدِ عِنْدَمَا حَاوَلَ جَاهِدًا إِيْقَاعَ السَّيِّدِ هَوْتِي فِي الْمَتَاعِبِ. رُبَّمَا يَبْدُو أَنَّ الْقَلْبَ الْأَسْوَدَ هُوَ وَحْدَهُ مَا قَدْ يَدْفَعُهُ إِلَى مُحَاوَلَةِ سَرِقَةِ بَيْضَتِي السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ هَوْتِي جَاهِدًا، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ. إِنَّ مُحَاوَلَةَ الْحُصُولِ عَلَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ لَمْ تَبْدُ خَاطِئَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَبِلَاكِي كَانَ جَائِعًا، وَكَانَتْ هَاتَانِ الْبَيْضَتَانِ تُمَثِّلَانِ وَجَبَةً شَهِيَّةً لَهُ. وَهُوَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هَوْتِي لَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْإِمْسَاكِ بِهِ وَأَكْلِهِ لَوْ أُتِيحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ؛ وَلِذَا بَدَتْ لَهُ سَرِقَةُ الْبَيْضَتَيْنِ أَمْرًا صَائِبًا وَمُنْصِفًا تَمَامًا إِنْ كَانَ ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِفِعْلِهِ. وَكَانَ مُعْظَمُ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ الصَّغَارِ سَيَّشَارِكُونَهُ الشُّعُورَ. فَأَحَدُ قَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ يَتِمَثَّلُ فِي ضَرُورَةٍ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ أَنْ يَرَعَى مَصَالِحَهُ.

وَلَكِنْ عِنْدَمَا دَلَّ بِلَاكِي ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ عَلَى مَكَانِ عَشِّ هَوْتِي أَمْلًا فِي أَنْ يَسْرِقَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، كَانَ قَلْبُهُ يَشُوبُهُ السَّوَادُ. حِينَهَا كَانَ تَصَرُّفُهُ دَنِيئًا بِكُلِّ مَا فِي الْكَلِمَةِ مِنْ مَعَانٍ. فَكُلُّ مَا كَانَ يُحَاوِلُهُ هُوَ أَنْ يُوَقِّعَ هَوْتِي فِي الْمَتَاعِبِ لِكَيْ يَنْتَقِمَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ هَوْتِي كَانَ أَذْكَى مِنْهُ. وَقَدْ جَلَسَ أَعْلَى شَجَرَةٍ صَنْوَبِرٍ يُشَاهِدُ كُلَّ مَا يَدُورُ، وَرَاحَ يَضْحَكُ بِمَكْرٍ عِنْدَمَا تَسْلَقُ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ الشَّجَرَةَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَشِّ هَوْتِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْبَيْضَةَ. كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ سَيَأْخُذُ الْبَيْضَتَيْنِ. أَوْ أَنَّهُ كَانَ يَتِمَنَّى ذَلِكَ عَلَى أَيْ حَالٍ.

وَعِنْدَمَا رَأَى ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ يُعِيدُ الْبَيْضَتَيْنِ وَيَنْزِلُ عَنِ الشَّجَرَةِ دُونَ أَنْ يَأْخُذَ
أَيًّا مِنْهُمَا، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَطْرَفَ بِعَيْنَيْهِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ مَا يَرَاهُ. فَهُوَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ
يُصَدِّقَ مَا رَأَاهُ. فِي الْبِدَايَةِ شَعَرَ بِإِحْبَاطٍ وَغَضَبٍ شَدِيدَيْنِ؛ فَقَدْ بَدَأَ وَاضِحًا لِلْغَايَةِ أَنَّهُ لَنْ
يَنْتَقِمَ مِنْ هَوْتِي فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ. طَارَ بِلَاكِي إِلَى شَجَرَتِهِ الْمَفْضَلَةِ لِيَتَفَكَّرَ فِي الْأَمْرِ. وَأَحْيَانًا
يَكُونُ مِنَ الْمُفِيدِ أَنْ يَجْلِسَ الْمَرْءُ بِمُفْرِدِهِ لِيَتَفَكَّرَ فِي أُمُورِهِ؛ فَذَلِكَ يَمْنَحُهُ فُرْصَةً لِسَمَاعِ
الصَّوْتِ الْخَافِتِ بِدَاخِلِهِ. وَهَذَا هُوَ مَا حَدَثَ مَعَ بِلَاكِي آنَذَاكَ.

وَكَلَّمَا طَالَ تَفَكُّيرُهُ فِي الْأَمْرِ، بَدَأَ لَهُ اسْتِدْعَاؤُهُ لِابْنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ أَكْثَرَ دَنَاءَةً؛ فَإِنَّ
مُحَاوَلَةَ سَرَقَةِ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ لِنَفْسِهِ أَمْرٌ، وَمُحَاوَلَةَ جَعْلِ شَخْصٍ آخَرَ — لَا يَمْلِكُ هَوْتِي
دِفَاعًا أَمَامَهُ — يَسْرِقُهُمَا أَمْرٌ آخَرُ.

قَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ فِي دَاخِلِهِ: «لَوْ كَانَ أَيُّ طَائِرٍ آخَرَ غَيْرِ هَوْتِي، لَكُنْتُ بَذَلْتُ
قُصَارَى جُهِدِكَ مِنْ أَجْلِ إِقْبَاءِ ابْنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ بَعِيدًا عَنْهُ.» نَكَّسَ بِلَاكِي رَأْسَهُ؛ إِذْ
كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ صَحِيحٌ. فَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَرَّاتِ حَدَرَ بِلَاكِي الطُّيُورَ الْأُخْرَى عِنْدَمَا كَانَ
ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ يَبْحَثُ عَنْ أَعْمَاشِهَا، وَسَاعَدَ فِي إِبْعَادِهِ.

فِي النِّهَايَةِ، رَفَعَ بِلَاكِي رَأْسَهُ وَضَحِكَ، وَهَذِهِ الْمَرَّةَ كَانَ لِضِحْكِهِ وَقَعٌ حَسَنٌ، وَقَالَ
بِصَوْتٍ عَالٍ: «أَنَا سَعِيدٌ لِأَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ لَمْ يَأْخُذْ هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. أَجَلُ، أَنَا سَعِيدٌ.
لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَرَّةً أُخْرَى. إِنَّنِي خَجَلٌ مِمَّا فَعَلْتُ، وَلَكِنِّي سَعِيدٌ بِفِعْلِهِ؛
سَعِيدٌ لِأَنِّي تَعَلَّمْتُ بَعْضَ الْأُمُورِ. تَعَلَّمْتُ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ لَمْ يَعْذُ مُخِيفًا كَمَا كَانَ.
وَتَعَلَّمْتُ أَنَّ هَوْتِي لَيْسَ غَيِّبًا كَمَا اعْتَقَدْتُ. وَتَعَلَّمْتُ أَنَّهُ فِي حِينِ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِالنِّسْبَةِ لَنَا —
نَحْنُ سُكَّانُ الْغَايَةِ الْخَضِرَاءِ — أَنْ يُحَاوِلَ كُلُّ مَنْ خَدَاعَ الْآخَرَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْمِيَ بَعْضُنَا
بَعْضًا مِنَ الْأَخْطَارِ الْمُشْتَرَكَةِ. كَمَا أَنَّنِي تَعَلَّمْتُ شَيْئًا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ مِنْ قَبْلُ؛ وَهُوَ أَنَّ
هَوْتِي هُوَ أَوَّلُ مَنْ يَبْدَأُ فِي بِنَاءِ عُنْشِهِ بَيْنَنَا. أَعْتَقَدُ أَنَّنِي سَأَذْهَبُ الْآنَ لِلْبَحْثِ عَنْ طَعَامِي
بِشَرَفٍ.» وَقَدْ فَعَلَ.

الفصل الرابع عشر

بلاكي يَقُومُ بِزِيَارَةِ

لَا تَحْكُمْ عَلَى أَحَدٍ مِنْ مَظْهَرِهِ؛
فَفِي ذَلِكَ إِقْرَارٌ بِجَهْلِكَ.

الْغُرَابُ بِلَاكِي

«كَأُو كَأُو كَأُو.» لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ حَاجَةٍ لِلنَّظَرِ لِرُؤْيَا مَصْدَرِ الصَّوْتِ. عَلِمَ الْأَرْزَبُ بَيْتَ دُونٍ أَنْ يَنْظُرَ، وَكَذَلِكَ عَلِمَتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكُ دُونٍ أَنْ تَنْظُرَ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ نَظَرَ كِلَاهُمَا إِلَى أَعْلَى. كَانَ الْغُرَابُ بِلَاكِي يَنْزِلُ لِتَوِّهِ مِنْ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ. وَصَاحَ مُجَدِّدًا: «كَأُو كَأُو كَأُو»، نَاطِرًا إِلَى الْأَرْزَبِ بَيْتِ وَالسَّيِّدَةِ كَوَاكُ وَالسَّيِّدِ كَوَاكُ وَالْبَطَّاتِ السَّتِّ الصَّغِيرَةِ بِالْأَسْفَلِ. وَقَالَ: «أَتَمَنَّى أَلَّا أَكُونَ قَدْ قَاطَعْتُ حَدِيثًا خَاصًّا.»

أَسْرَعَ بَيْتِ بِالرَّدِّ قَائِلًا: «مُطْلَقًا. كَانَتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكُ تُخْبِرُنِي عَنِ الْمَتَاعِبِ وَالْأَخْطَارِ النَّاجِمَةِ عَنْ تَنْشِئَةِ الصَّغَارِ فِي الشَّمَالِ الْبَعِيدِ. كَيْفَ عَرَفْتَ أَنَّ عَائِلَةَ كَوَاكُ قَدْ وَصَلَتْ؟» ضَحَكَ بِلَاكِي بِصَوْتٍ أَجَشٍّ، وَقَالَ: «لَمْ أَعْلَمْ. ظَنَنْتُ بِبَسَاطَةٍ أَنَّ شَيْئًا مَا رُبَّمَا يَحْدُثُ هُنَا فِي بَرَكَةِ الْقُنْدُسِ بَادِي؛ لِذَا أَتَيْتُ لِاتِّبَينَ الْأَمْرَ. أَنْتَ وَالسَّيِّدَةُ كَوَاكُ تَبْدُونَ فِي أَفْضَلِ حَالٍ هَذَا الْخَرِيفِ يَا سَيِّدُ كَوَاكُ. وَهَذِهِ الْبَطَّاتُ الصَّغِيرَةُ الْجَمِيلَةُ، لَا تُخْبِرُنِي أَنَّهُمْ أَطْفَالُكَ!» أَوْمَأَتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكُ بِفَخْرٍ قَائِلَةً: «نَعَمْ، إِنَّهُمْ أَطْفَالِي.»

فَقَالَ بِلَاكِي مُتَعَجِّبًا، كَمَا لَوْ كَانَ مُتَفَاجِئًا، بَيْنَمَا لَمْ يَكُنْ مُتَفَاجِئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ: «غَيْرُ مَعْقُولٍ! إِنَّهُمْ مَفْخَرَةٌ لِأَبَوَيْهِمْ. بِالْفِعْلِ، إِنَّهُمْ مَفْخَرَةٌ لِأَبَوَيْهِمْ. إِنَّنِي لَمْ أَرِ فِي حَيَاتِي أَجْمَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَطَّاتِ الصَّغِيرَةِ. كَمْ سَيَسْعُدُ الصِّيَادُونَ ذَوُو الْبَنَادِقِ الرَّهِيْبَةِ بِرُؤْيَتِهِمْ!»

انْتَفَضَتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكَ لِقَوْلِهِ وَرَأَى بِلَاكِي ذَلِكَ، فَأَطْلَقَ ضَحَكَةً خَافَتَهُ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُشْعِرَ الْآخَرِينَ بِالِاضْطِرَابِ. وَأَرْدَفَ قَائِلًا: «رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ صَيَّادِينَ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ بَاكِرًا هَذَا الصَّبَاحَ.»

بَدَتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكَ شَدِيدَةَ الْقَلْقِ. وَلَاحَظَتْ عَيْنَا بِلَاكِي الثَّاقِبَتَانِ ذَلِكَ. فَأَضَافَ بِلُطْفٍ: «هَذَا هُوَ سَبَبُ مَجِيئِي إِلَى هُنَا. أَرَدْتُ أَنْ أُحْذِرْكُمْ.» فَقَالَ بِيْتَرُ بِصَوْتٍ عَالٍ: «لَكِنَّكَ لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ أَنَّ عَائِلَةَ كَوَاكَ هُنَا!»

رَدَّ بِلَاكِي وَقَدْ لَاحَ بَرِيقٌ فِي عَيْنَيْهِ: «هَذَا صَحِيحٌ يَا بِيْتَرُ، هَذَا صَحِيحٌ. لَكِنِّي ظَنَنْتُ أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونُوا قَدْ جَاءُوا. لَقَدْ وَرَدَ إِلَى مَسَامِعِي أَنَّ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَى الْجَنُوبِ يُسَافِرُونَ مُبَكِّرًا عَنِ الْمُعْتَادِ هَذَا الْخَرِيفَ؛ لِذَا عَلِمْتُ أَنِّي رُبَّمَا أَجِدُ السَّيِّدَ كَوَاكَ وَالسَّيِّدَةَ كَوَاكَ هُنَا فِي أَيِّ لَحْظَةٍ. هَلْ صَحِيحٌ أَيُّهَا السَّيِّدَةُ كَوَاكَ أَنَّ هَذَا الشِّتَاءَ سَيَكُونُ شِتَاءً طَوِيلًا قَاسِيًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ؟»

رَدَّتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكَ: «هَذَا هُوَ مَا يَقُولُهُ سُكَّانُ الشَّمَالِ الْبَعِيدِ. وَصَحِيحٌ أَنَّ صَقِيعًا بَدَأَ مُبَكِّرًا عَنِ الْمُعْتَادِ؛ وَلِهَذَا جِئْنَا هُنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ. وَلَكِنْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَؤُلَاءِ الصَّيَّادِينَ عِنْدَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، هَلْ تَظُنُّ أَنَّهُمْ سَيَأْتُونَ إِلَى هُنَا؟» كَانَ صَوْتُ السَّيِّدَةِ كَوَاكَ مَشُوبًا بِنَبْرَةٍ قَلْقٍ.

أَجَابَ بِلَاكِي بِسُرْعَةٍ: «لَا، لَنْ يَسْمَحَ لَهُمْ ابْنُ الْمَزَارِعِ براونُ بِذَلِكَ. أَنَا أَعْلَمُ ذَلِكَ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يُرَاقِبُ هَؤُلَاءِ الصَّيَّادِينَ. سَتَكُونِينَ فِي أَمَانٍ مَا دُمْتَ هُنَا. كَمْ كَانَ الْعَالَمُ سَيُصْبِحُ رَائِعًا لَوْ كَانَتْ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ السَّاقَيْنِ مِثْلَ ابْنِ الْمَزَارِعِ براونِ.»

صَاحَ بِيْتَرُ: «أَجَلْ!» وَأَضَافَ: «أَتَمَنَّى لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ.»

وَأَكَّدَتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكَ ذَلِكَ بِقَوْلِهَا: «لَيْسَ بِقَدْرٍ مَا أَتَمَنَاهُ أَنَا.»

قَالَ بِلَاكِي: «إِلَّا أَنَّنِي أَذْكُرُهُ عِنْدَمَا كَانَ يَصْطَادُ بِبُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهْيَبَةِ وَكَانَ مِنْ أَسْوَأِ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ السَّاقَيْنِ.»

سَأَلَتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكَ وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهَا الْإِهْتِمَامُ: «وَمَا الَّذِي غَيَّرَهُ؟»

أَجَابَ بِلَاكِي: «لَا شَيْءَ سِوَى أَنَّهُ وَطَّدَ مَعْرِفَتَهُ بِبَعْضِ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ الصَّغَارِ، وَوَجَدَ أَنَّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ تَمَامَ الْإِسْتِعْدَادِ لِمُصَادَقَتِهِ، وَأَصْبَحَ بَعْضُهُمْ مِنْ أَصْدِقَائِهِ الْمُقَرَّبِينَ فِعْلًا.»

بلاكي يَقُومُ بِزِيَارَةِ

هَتَفَ بَيْتَر: «وَهُوَ الْآنَ صَدِيقُهُمُ الْأَثِيرُ»
أَوْمَأَ بِلَاكِي مُوَافَقًا وَقَالَ: «هَذَا صَحِيحٌ يَا بَيْتَر. وَلِهَذَا فَإِنَّ عَائِلَةَ كَوَاكِ فِي أَمَانٍ هُنَا
وَسَوْفَ تَظَلُّ بِأَمَانٍ مَا بَقِيَتْ هُنَا.»

الفصل الخامس عشر

بلاكي يَتَفَقَّدُ الْأَوْضَاعَ

لَا تُصَدِّقْ قَوْلَ الْغَيْرِ
إِنْ أَمَكْنَ أَنْ تَرَى رَأْيَ الْعَيْنِ.

الْغُرَابُ بِلَاكِي

بِلَاكِي غُرَابٌ ذَكِيٌّ. فَهُوَ أَحَدُ أَذْكَى سُكَّانِ الْغَايَةِ الْخَضِرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ الصَّغَارِ
وَأَكْثَرُهُمْ فِطْنَةً، وَالْجَمِيعُ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. وَلِهَذَا يُكِنُّ لَهُ جِرَانُهُ جَمِيعًا وَافِرَ الْإِحْتِرَامِ، رَغَمَ
طَبْعِهِ الْمُؤْذِي.

بِالطَّبْعِ لَاحِظٌ بِلَاكِي أَنَّ الْخُلْدَ جَوْنِي حَفَرَ مَنْزِلَهُ بِعُمُقٍ أَكْبَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ، وَأَتَّخَمَ
نَفْسَهُ بِالطَّعَامِ حَتَّى صَارَ أَسْمَنَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. وَلَاحِظٌ أَنَّ فَأَرَ الْمِسْكِ جِيرِي كَانَ
أَخِذَا فِي جَعَلٍ جُدْرَانِ مَنْزِلِهِ أَكْثَرَ سُمْكًا مِنَ الْأَعْوَامِ الْمَاضِيَةِ، وَأَنَّ الْقُنْدُسَ بَادِي كَانَ
يَفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسُهُ بِمَنْزِلِهِ. فَكَمَا تَعْلَمُ، عَيْنَا بِلَاكِي الثَّاقِبَتَانِ لَا يَفُوتُهُمَا الْكَثِيرُ.
خَمَنَ بِلَاكِي مَا يَعْنِيهِ كُلُّ ذَلِكَ، فَتَمَتَّمَ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: «إِنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الشِّتَاءَ
سَيَكُونُ طَوِيلًا قَاسِيًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ. رَبَّمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، وَلَكِنِّي أَرْغَبُ فِي أَنْ أَرَى
بَعْضَ الْأَدِلَّةِ عَلَى ذَلِكَ بِنَفْسِي. رَبَّمَا كَانَ ظَنُّهُمْ مُجَرَّدَ تَحْمِينٍ. يُمْكِنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ
يُخَمِّنَ، وَالتَّخْمِينَاتُ جَمِيعًا مُتَسَاوِيَةٌ.»

ثُمَّ وَجَدَ عَائِلَةَ الْبَطِّ الْبَرِّيَّ — السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ كَوَاكٍ وَأَطْفَالَهُمَا — فِي بَرَكَةِ الْقُنْدُسِ بَادِي، وَتَذَكَّرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَأْتُوا إِلَى الْعَابَةِ مِنْ مَنْزِلِهِمْ فِي الشَّمَالِ الْبَعِيدِ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ الْمُبَكِّرِ مِنَ الْخَرِيفِ مِنْ قَبْلُ. وَأَوْضَحَتِ السَّيِّدَةُ كَوَاكٍ أَنَّ صَقِيْعًا قَدْ بَدَأَ بِالْفِعْلِ فِي الْجَنُوبِ؛ وَلِذَلِكَ بَدَءُوا رِحْلَتَهُمْ أَبْكَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ حَتَّى يَسْبِقُوهُ.

فَكَرَّ بِلَاكِي قَائِلًا: «يَبْدُو أَنَّهُ رُبَّمَا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنَ الصَّدَقِ فِي فِكْرَةِ الشِّتَاءِ الطَّوِيلِ الْقَاسِي قَارِسِ الْبُرُودَةِ، لَكِنْ رُبَّمَا كَانَتْ عَائِلَةُ كَوَاكٍ تَحْمَنُ أَيْضًا. لَنْ أَصَدِّقَ كَلَامَهُمْ مِثْلَمَا لَمْ أَصَدِّقْ كَلَامَ الْخُلْدِ جُونِي أَوْ فَارِ الْمُسْكِ جِيرِي أَوْ الْقُنْدُسِ بَادِي. سَوْفَ أَتَفَقَّدُ الْأَوْضَاعَ».

بَعْدَ أَنْ نَبَّهَ بِلَاكِي عَائِلَةَ كَوَاكٍ إِلَى أَنَّ تَبَقَّى فِي بَرَكَةِ الْقُنْدُسِ بَادِي إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَكُونُوا فِي مَأْمِنٍ، وَدَعَاهُمْ وَحَلَقَ بَعِيدًا، وَتَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ وَحَقْلِ الدَّرَةِ لَدَى الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ؛ فَقَلِيلٌ مِنْ تِلْكَ الدَّرَةِ الصَّفْرَاءِ كَانَ يُمِثِّلُ وَجِبَةً إِفْطَارٍ لَا بَأْسَ بِهَا. عِنْدَمَا وَصَلَ بِلَاكِي إِلَى حَقْلِ الدَّرَةِ، اسْتَقَرَّ فَوْقَ كَوْمَةٍ مِنَ الدَّرَةِ، كَانَتْ قَدْ قُطِعَتْ بِالْفِعْلِ وَوُضِعَتْ فِي أَكْوَامٍ؛ اسْتِعْدَادًا لِنَقْلِهَا بِالْعَرَبَةِ إِلَى مَخْرَنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ. قَبَعَ فِي مَكَانِهِ سَاكِئًا دُونَ حَرَكَ لِحَظَاتٍ، وَلَكِنْ طِيلَةَ الْوَقْتِ كَانَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ تَتَأَكَّدَانِ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ عَدُوٍّ مُحْتَبِيٍّ خَلْفَ إِحْدَى تِلْكَ الْأَكْوَامِ الْبُنْيَةِ. وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ الْوَضْعَ آمِنٌ فِعْلًا كَمَا يَبْدُو ظَاهِرًا، انْتَقَى كُوزَ دُرَّةٍ ضَخْمًا وَبَدَأَ يُزِيلُ الْقَشْرَ عَنْهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْحُبُوبِ الصَّفْرَاءِ.

قَالَ بِلَاكِي بَيْنَمَا كَانَ يَقْطَعُ الْقَشْرَ بِمِنْقَارِهِ الْحَادِّ: «يَبْدُو لِي أَنَّ هَذِهِ الْقَشْرَةَ أَكْثَرُ سُمْكًا مِنَ الْمُعْتَادِ. لَا أَتَذَكَّرُ قَطُّ أَنَّنِي رَأَيْتُ قَشْرًا بِمِثْلِ هَذَا السُّمِكِ مِنْ قَبْلُ. تُرَى أَيْفَتَصِرُ هَذَا الْأَمْرُ عَلَى كُوزِ الدَّرَةِ هَذَا فَحَسْبُ؟»

جَينَهَا طَرَأَتْ عَلَى رَأْسِهِ الْأُسُودُ فِكْرَةٌ، فَتَرَكَ هَذَا الْكُوزَ وَأَخَذَ غَيْرَهُ. كَانَتْ قَشْرَةُ هَذَا الْكُوزِ بِنَفْسِ سُمْكِ قَشْرَةِ الْكُوزِ السَّابِقِ. فَطَارَ إِلَى كَوْمَةٍ أُخْرَى وَوَجَدَ الْقَشْرَ بِنَفْسِ السُّمِكِ. وَانْتَقَلَ إِلَى كَوْمَةٍ ثَالِثَةٍ وَوَجَدَ الْأَمْرَ نَفْسَهُ.

فَقَالَ: «آه! إِنَّهُمْ جَمِيعًا سَوَاءٌ». ثُمَّ بَدَأَ أَنَّهُ غَرِقَ فِي التَّفَكُّيرِ وَظَلَّ ثَابِتًا كَالنَّمْثَالِ بَضْعَ لَحَظَاتٍ، وَقَالَ فِي النِّهَايَةِ: «إِنَّهُمْ مُحَقَّقُونَ. أَجَلْ، إِنَّهُمْ مُحَقَّقُونَ». كَانَ يَعْنِي بِالطَّبْعِ

الْخُلْدَ جُونِي وَفَارَ الْمُسْكِ جِيرِي وَالْقُنْدُسَ بَادِي وَعَائِلَةَ كَوَاك. «لَا أَعْلَمُ كَيْفَ عَلِمُوا بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ مُحِقُّونَ. سَيَكُونُ هَذَا الشِّتَاءُ طَوِيلًا قَاسِيًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ. عَرَفْتُ ذَلِكَ بِنَفْسِي الْآنَ، فَقَدْ وَجَدْتُ دَلِيلًا عَلَيْهِ. إِنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ قَدْ غَلَفَتْ هَذِهِ الذَّرَّةَ بِقَشْرَةٍ أَكْثَرَ سُمْكًا مِنَ الْمُعْتَادِ، وَبِالطَّبْعِ فَعَلَتْ ذَلِكَ لِتَحْمِيهَا. إِنَّهَا لَا تَفْعَلُ شَيْئًا بِلا سَبَبٍ. صِرْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ سَيَكُونُ شِتَاءٌ قَارِسَ الْبُرُودَةِ مِثْلَمَا أَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ اسْمِي.»

الفصل السادس عشر

بلاكي يجد أدلة أخرى

حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ قَدْ لَا تَكْفِي لِإثْبَاتِ رَأْيِكَ؛
عَضُّدَهَا بِأُخْرَى فَيُقَوِّى بُرْهَانَكَ.

الْغُرَابُ بِلَاكِي

بَعْدَمَا اكْتَشَفَ بِلَاكِي أَنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ غَلَفَتْ كُلَّ أَكْوَازِ الذَّرَّةِ بِقَشْرِ زَائِدِ السُّمَكِ،
لَمْ يَعْذُ لَدَيْهِ أَيُّ شَكٍّ فِي أَنَّ الْخُلْدَ جُونِي وَفَأَرَّ الْمُسْكُ جِيرِي وَالْقُنْدُسُ بَادِي وَعَائِلَةٌ
كَوَاكٍ كَانُوا مُحَقِّقِينَ تَمَامًا فِي شُعُورِهِمْ بِأَنَّ الشِّتَاءَ الْقَادِمَ سَيَكُونُ طَوِيلًا وَقَاسِيًا وَقَارِسَ
الْبُرُودَةِ. وَلَكِنَّ بِلَاكِي تَعَلَّمَ مِنْذُ زَمَنٍ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَوْ الْأَمَانِ الْكَامِلِ أَنْ تَعْتَمِدَ كُلِّيًّا
عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ.

بَيْنَمَا وَقَفَ بِلَاكِي عَلَى عَمُودٍ سِيَاحٍ فِي الْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ مُفَكِّرًا فِي اكْتِشَافِ قَشْرَةِ
الذَّرَّةِ السَّمِيكَةِ، قَالَ فِي نَفْسِهِ: «إِنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ لَا تَفْعَلُ شَيْئًا غَيْرَ كَامِلٍ؛ لِذَا لَنْ
تَهْتَمَّ بِحِمَايَةِ الذَّرَّةِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ دُونَ أَنْ تَحْمِيَ الْأَشْيَاءَ الْأُخْرَى. لَا بَدَّ مِنْ وُجُودِ أدِلَّةٍ
أُخْرَى، إِذَا كُنْتُ ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِإِكْتِشَافِهَا.»

رَفَعَ بِلَاكِي أَحَدَ جَنَاحَيْهِ الْأَسْوَدَيْنِ وَبَدَأَ بِتَرْتِيبِ الرِّيشِ فِيهِ. وَفَجْأَةً قَفَزَ قَفْزَةً صَغِيرَةً
مُضْحِكَةً.

وَإِذْ بَسَطَ جَنَاحَيْهِ لِيَسْتَعِيدَ تَوَازُنَهُ، صَاحَ قَائِلًا: «هَذَا أَمْرٌ غَيْرٌ مَسْبُوقٍ! أَجَلْ، غَيْرُ
مَسْبُوقٍ!»

سَمِعَ صَوْتًا حَادًّا رَفِيعًا يَقُولُ: «أَحَقًّا؟ إِذَا قُلْتَ إِنَّهُ أَمْرٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ، فَهَذَا صَحِيحٌ عَلَى الْأَرْجَحِ، وَإِنْ كُنْتُ سَاخِذُ رَأْيِي شَخْصٍ آخَرَ قَبْلَ أَنْ أَصْدُقَ مَا تَقُولُ. مَا هُوَ الْأَمْرُ غَيْرُ الْمَسْبُوقِ؟»

نَظَرَ بِلَاكِي إِلَى أَسْفَلَ، فَوَجَدَ عَيْنَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ لَامِعَتَيْنِ تَتَطَلَّعَانِ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ الْعُشْبِ الْبُنِّيِّ.

صَاحَ بِلَاكِي: «مَرَحَبًا يَا فَأْرَ الْمُرُوجِ دَانِي! لَمْ أَرَكَ مُنْذُ زَمَنٍ. بَحَثْتُ عَنْكَ مَرَاتٍ عِدَّةً فِي الْأَوَانَةِ الْأَخِيرَةِ.»

صَاحَ دَانِي: «لَا أَشُكُّ فِي ذَلِكَ. لَا أَشُكُّ فِي ذَلِكَ مُطْلَقًا. لَنْ تَرَانِي أَبَدًا عِنْدَمَا تَبْحَثُ عَنِّي. أَوْ إِنَّكَ لَنْ تَرَانِي لَوْ كَانَ الْأَمْرُ بِيَدِي، وَلَنْ تَرَانِي إِذَا رَأَيْتَكَ أَنَا أَوَّلًا.»

ضَحِكَ بِلَاكِي؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ مَا يَقْصِدُهُ دَانِي. فَعِنْدَمَا يَذْهَبُ بِلَاكِي لِلْبَحْثِ عَنْ فَأْرِ الْمُرُوجِ دَانِي، عَادَةً مَا يَكُونُ آمِلًا فِي تَنَاوُلِهِ عَلَى الْعِشَاءِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ دَانِي يَعْلَمُ ذَلِكَ. فَقَالَ بِلَاكِي: «لَقَدْ تَنَاوَلْتُ إِفْطَارِي، وَلَمْ يَحِنْ مَوْعِدُ الْعِشَاءِ بَعْدُ.»

سَأَلَ دَانِي فِي إِصْرَارٍ بِصَوْتِهِ الرَّفِيعِ: «مَا هُوَ الْأَمْرُ غَيْرُ الْمَسْبُوقِ؟»
أَجَابَهُ بِلَاكِي مُفسِّرًا: «كَانَ هَذَا تَعْجَبًا؛ فَقَدْ اكْتَشَفْتُ اكْتِشَافًا أَدهَشَنِي لَذَا صَدَرَتْ عَنِّي تِلْكَ الْعِبَارَةُ عَلَى الْفُورِ.»

فَسَأَلَ دَانِي: «مَاذَا كَانَ هَذَا الْاِكْتِشَافُ؟»

رَدَّ بِلَاكِي قَائِلًا: «كَانَ الْاِكْتِشَافُ هُوَ أَنَّ رِيْشِي يَنْمُو بِكَثَافَةٍ أَكْبَرَ بِخِلَافِ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. وَلَمْ أُلَاحِظْ ذَلِكَ حَتَّى بَدَأْتُ أُرْتَبُّهُ مُنْذُ بَضْعِ لَحَظَاتٍ.» وَدَفَنَ مِنْقَارُهُ فِي رِيْشِ صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ مَكْتُومٍ: «أَجَلْ، إِنَّهُ يَنْبُتُ بِكَثَافَةٍ أَكْبَرَ بِخِلَافِ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. إِنَّهُ يَنْبُتُ بِكَثَرَةٍ عِنْدَ الْجُدُورِ. سَوْفَ يَكُونُ ذَلِكَ أَدْفَأَ مِعْطَفٍ رِيْشِي حَصَلَتْ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِي.»
رَدَّ دَانِي قَائِلًا: «لَا تَحْسَبْ أَنَّكَ وَحْدَكَ فِي ذَلِكَ. لَمْ يَسْبِقْ أَنْ كَانَ فِرَائِي أَكْثَرَ كَثَافَةً فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ مِمَّا هُوَ الْآنَ، وَيَسْرِي ذَلِكَ الْأَمْرُ عَلَى فَأَرَةِ الْمُرُوجِ نَانِي وَأَطْفَالِنَا جَمِيعًا. أَتَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَعْلَمُ مَا يَعْنِيهِ ذَلِكَ.»

سَأَلَ بِلَاكِي: «مَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَلِكَ؟» كَمَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى فِكْرَةٍ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ قَدْ خَمَّنَ مَعْنَاهُ فِي لَحْظَةِ اكْتِشَافِهِ الرِّيْشَاتِ الرَّائِدَةِ.

بلاكي يَجِدُ أدِلَّةَ أُخْرَى

رَدَّ داني كَمَا لَوْ كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْمَوْضُوعِ: «هَذَا يَعْنِي أَنَّهُ سَيَكُونُ شِتَاءٌ طَوِيلًا قَاسِيًا قَارِسَ الْبُرُودَةِ، وَأَنَّ الطَّبِيعَةَ الْأُمَّ الْعَجُوزَ تُعِدُّنَا لَهُ. سَتَجِدُ أَنَّ كُلَّ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي لَا تَهَاجِرُ إِلَى الْجَنُوبِ وَلَا تَنَامُ طَوَالَ الشِّتَاءِ قَدْ حَصَلَتْ عَلَى غِطَاءٍ أَغْلَظَ مِنَ الْمُعْتَادِ لِجَسَدِهَا. آه! إِنَّهُ الصَّقَرُ الْعَجُوزُ مُرِيشُ الرَّجُلَيْنِ! لَقَدْ جَاءَ مُبَكَّرًا لِلْغَايَةِ هَذَا الْعَامَ. اَعْتَقِدْ أَنِّي سَأَعُودُ لِأُحْذِرَ نَاني.»

وَدُونَ آيَةٍ كَلِمَةٍ أُخْرَى اخْتَفَى داني وَسَطَ الْعُشْبِ الْبُنِّيِّ. ضَحِكَ بِلَاكِي مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «الْمَزِيدُ مِنَ الْأَدِلَّةِ. الْمَزِيدُ مِنَ الْأَدِلَّةِ. لَيْسَ ثَمَّةَ شَكٍّ فِي أَنَّهُ سَيَكُونُ شِتَاءٌ عَصِيْبًا. تُرَى هَلْ سَيُمْكِنُنِي تَحْمُلُهُ؟ أَمْ أَنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ أُنْتَقَلَ إِلَى الْجَنُوبِ قَلِيلًا، حَيْثُ سَيَكُونُ الْجَوُّ أَدْفَأَ بَعْضَ الشَّيْءِ.»

الفصل السابع عشر

أَمْرٌ عَجِيبٌ

يَبْدُو وَاضِحًا لِي أَنَّ
مَا لَا أَفْهَمُهُ أَسْتَغْرِبُهُ.

الْغُرَابُ بِلَاكِي

قَدْ يَكُونُ بِلَاكِي مُحِقًّا، وَقَدْ لَا يَكُونُ. فَإِذَا كَانَ مُحِقًّا، فَسَيُفَسِّرُ ذَلِكَ غَرَابَةً كَثِيرًا مِنَ
الْأَشْخَاصِ فِي الْعَالَمِ. فَإِنَّا إِذْ لَا نَفْهَمُهُمْ، نَسْتَغْرِبُهُمْ. عَلَى الْأَقْلَ، هَذَا مَا يَقُولُهُ الْآخَرُونَ،
وَلَا يُفَكِّرُونَ أَبَدًا، وَلَوْ لِمَرَّةٍ، أَنَّهُمْ رُبَّمَا هُمْ مَنْ يَتَّسِمُونَ بِالْغَرَابَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ.
لَكِنَّ بِلَاكِي لَيْسَ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ بَعْدَمِ الْفَهْمِ وَالْإِعْتِقَادِ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ
دُونَهُمْ غَرِيبٌ. فَهُوَ يَبْذُلُ قَصَارَى جُهِدِهِ لِيَفْهَمَ. فَيَنْتَظِرُ وَيُرَاقِبُ وَيَسْتَخْدِمُ بَصَرَهُ الْحَادَّ
وَسُرْعَةَ بَدْيِهِتِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ الْأَمْرُ عَادَةً إِلَى الْفَهْمِ.

فِي الْيَوْمِ الَّذِي اكْتَشَفَ فِيهِ عَلَامَاتِ الطَّبِيعَةِ الْأُمِّ الْعَجُوزِ عَلَى أَنَّ الشِّتَاءَ الْقَادِمَ
سَيَكُونُ طَوِيلًا وَقَاسِيًا وَقَارِسَ الْبُرُودَةِ، قَامَ بِلَاكِي بِزِيَارَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. فَقَدْ كَانَ اكْتَشَفَ
مُنْذُ زَمَنٍ أَنَّ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَرَى عَلَى صَفْحَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ أَوْ إِلَى جَوَارِهِ، وَلَا تَرَى فِي مَكَانٍ
آخَرَ؛ لِذَا كَانَ يَذْهَبُ إِلَى النَّهْرِ فِي أَغْلَبِ الْأَيَّامِ.

إِذْ أَخَذَ بِلَاكِي يَقْتَرِبُ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، كَانَ شَدِيدَ الْيَقِظَةِ وَالْحَذَرِ؛ حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ
يَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مَوْسَمُ تَوَاجُدِ الصَّيَّادِينَ ذَوِي الْبِنَادِقِ الرَّهْيِيَّةِ، وَكَانَ قَدْ عَرَفَ أَنَّهُمْ يَحْتَبِئُونَ
عَلَى الْأَرْجَحِ فِي مَكَانٍ مَا عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ أَمَلًا فِي اصْطِيَادِ السَّيِّدِ كَوَاكٍ أَوِ السَّيِّدَةِ
كَوَاكٍ أَوْ بَعْضِ أَقَارِبِهِمَا. لِذَا كَانَ شَدِيدَ الْحَذَرِ فِي اقْتِرَابِهِ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ

بِمَخَاطِرِ الْمُرُورِ بِالْقُرْبِ مِنْ صَيَّادٍ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةَ رَهِيْبَةٍ. فَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ النَّارُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِيمَا مَضَى. وَلَكِنَّهُ تَعَلَّمَ مِنْ هَذِهِ النَّجَارِبِ. أَجَلَ، تَعَلَّمَ بِلَاكِي مِنْهَا. أَوَّلًا: تَعَلَّمَ أَنَّ يَتَعَرَّفَ عَلَى الْبُنْدُقِيَّةِ عِنْدَمَا يَرَاهَا، وَثَانِيًا: تَعَلَّمَ الْبُعْدَ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْبَنَادِقُ عَلَيْهِ وَمَعَ ذَلِكَ تُؤْذِي الْهَدَفَ الَّذِي تُوجِّهُ إِلَيْهِ، وَتَعَلَّمَ أَنَّ يَبْقَى دَوْمًا عَلَى بُعْدٍ أَكْبَرَ قَلِيلًا. وَكَذَلِكَ تَعَلَّمَ أَنَّ الرَّجُلَ أَوْ الطِّفْلَ بِدُونِ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيْبَةِ غَيْرُ مُؤْذٍ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، وَأَنَّ الصَّيَّادِينَ مُحَادِعُونَ وَأَحْيَانًا يَخْتَبِئُونَ مِمَّنْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ. لِذَلِكَ مِنَ الْأَفْضَلِ فِي مَوْسِمِ الصَّيْدِ الْبَغِيضِ أَنْ يُمْعِنَ الطَّائِرُ النَّظَرَ قَبْلَ أَنْ يَقْتَرِبَ مِنْ أَيِّ مَكَانٍ.

عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، عِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، رَأَى رَجُلًا بَدَأَ مَشْغُولًا لِلْعَايَةِ عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، فِي مَكَانٍ يَتَمُو فِيهِ الْأُرْزُ الْبَرِّيُّ وَنَبَاتُ السَّمَارِ لِمَسَافَةٍ فِي الْمَاءِ، حَيْثُ كَانَ الْمَاءُ ضَحْلًا حَتَّى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الْيَابِسَةِ. بَحَثَ بِلَاكِي مُدَقِّقًا عَنْ بُنْدُقِيَّةٍ رَهِيْبَةٍ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ بُنْدُقِيَّةٌ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَا يَخْشَاهُ بِلَاكِي. فَاقْتَرَبَ بِلَاكِي بِجُرْأَةٍ حَتَّى صَارَ بِإِمْكَانِهِ رُؤْيَاهُ مَا يَفْعَلُهُ الرَّجُلُ.

اتَّسَعَتْ عَيْنَا بِلَاكِي عَنْ آخِرِهِمَا وَكَادَ يَنْعَقُ دَهْشَةً. فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُخْرِجُ حُبُوبَ ذُرَّةٍ صَفْرَاءَ مِنْ كَيْسٍ وَيُلْقِيهَا فِي الْمَاءِ، حَفْنَةً فِي كُلِّ مَرَّةٍ. أَجَلَ، كَانَ ذَلِكَ مَا يَفْعَلُهُ؛ يَنْثُرُ حُبُوبَ الذَّرَّةِ الصَّفْرَاءِ اللَّذِيذَةِ بَيْنَ الْأُرْزِ الْبَرِّيِّ وَنَبَاتِ السَّمَارِ فِي الْمَاءِ!

تَمَتَّمَ بِلَاكِي بَيْنَمَا وَقَفَ يُرَاقِبُ الْمَشْهَدَ: «هَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ!» «لِمَ يَنْثُرُ ذُرَّةً سَلِيمَةً لَا عَيْبَ فِيهَا فِي الْمَاءِ؟ إِنَّهُ لَا يَزْرَعُهَا، فَهَذَا لَيْسَ مَوْسِمُ الزَّرَاعَةِ. كَمَا أَنَّهَا لَنْ تَنْمُوَ فِي الْمَاءِ عَلَى أَيِّ حَالٍ. وَمِنْ الْمُؤَسَفِ أَنْ تُهْدَرَ مِثْلُ هَذِهِ الذَّرَّةِ اللَّذِيذَةِ. لِمَ يَفْعَلُ هَذَا؟»

طَارَ بِلَاكِي إِلَى شَجَرَةٍ أَبْعَدَ قَلِيلًا وَوَقَفَ عَلَى قِمَّتِهَا يُرَاقِبُ هَذَا الْأَمْرَ الْعَجِيبَ. فَبِلَاكِي عَيْنَاهُ ثَاقِبَتَانِ وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَرَى مِنْ مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ. اسْتَمَرَّ الرَّجُلُ لِفَتْرَةٍ فِي نَثْرِ الذَّرَّةِ وَوَاصَلَ بِلَاكِي التَّسَاوُلَ عَنْ سَبَبِ فِعْلِهِ ذَلِكَ. فِي النِّهَايَةِ مَضَى الرَّجُلُ عَلَى مَتْنٍ قَارِبٍ، وَرَاقِبُهُ بِلَاكِي حَتَّى تَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ. حِينَهَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ وَرَاحَ يَحُومُ حَوْلَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ وَالْأُرْزِ الْبَرِّيِّ بِبُطْءٍ، فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ الرَّجُلُ يَنْثُرُ فِيهِ الذَّرَّةَ. وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ رُؤْيَاهُ بَعْضَ الْحُبُوبِ الصَّفْرَاءِ فِي الْقَاعِ. وَسُرْعَانَ مَا رَأَى شَيْئًا آخَرَ. فَهَتَفَ بِلَاكِي: «آه!»

الفصل الثامن عشر

ظُنُونُ بِلَاكِي

اَحْذَرْ مَا لَا تَفْهَمُ!
قَدْ لَا يَكُونُ مُؤْذِيًا، وَلَكِنْ اَحْذَرْ!
فَكَلِّمًا تَقْدَمُ بِكَ الْعُمْرُ، وَجَدْتَ أَنَّ مَا تَعْرِفُهُ
هُوَ وَحْدَهُ الْجَدِيرُ بِثَقَلِكَ، فَاحْذَرْ!

الْغُرَابُ بِلَاكِي

تِلْكَ إِحْدَى الْحِكَمِ الَّتِي يُرَدِّدُهَا بِلَاكِي، وَيَعْمَلُ بِهَا. وَذَلِكَ أَحَدُ أَسْبَابِ اعْتِبَارِ كُلِّ جِيرَانِهِ
لَهُ أَنَّهُ أَحَدُ أَذْكَى الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ. فَهُوَ
نَادِرًا مَا يَقَعُ فِي مَتَاعِبِ حَقِيقَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَأَكَّدُ أَوَّلًا مِنْ عَدَمِ وُجُودِ مَتَاعِبٍ يَقَعُ فِيهَا. وَعِنْدَمَا
يَكْتَشِفُ شَيْئًا لَا يَفْهَمُهُ، يَشْكُ فِيهِ عَلَى الْفَوْرِ.

وَعِنْدَمَا شَاهَدَ رَجُلًا يَنْتَرُ الذَّرَّةَ الصُّفْرَاءَ فِي الْمَاءِ مِنْ عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، ارْتَابَ
فِي الْأَمْرِ عَلَى الْفَوْرِ. فَهُوَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ السَّبَبَ الَّذِي قَدْ يَدْفَعُ رَجُلًا إِلَى الْإِلْقَاءِ ذُرَّةَ
سَلِيمَةٍ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ وَالْأُرْزِ الْبَرِّيِّ فِي الْمَاءِ. وَلِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْهَمَ، شَكَّ عَلَى
الْفَوْرِ فِي أَنْ يَكُونَ ثَمَّةَ غَرَضٍ شَرِيرٍ وَرَاءَ ذَلِكَ. وَعِنْدَمَا غَادَرَ الرَّجُلُ فِي الْقَارِبِ، طَارَ
بِلَاكِي بِبُطْءٍ فَوْقَ السَّمَارِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَلْقَى فِيهِ الرَّجُلُ الذَّرَّةَ، وَعَلَى الْفَوْرِ اكْتَشَفَتْ
عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ شَيْئًا جَعَلَهُ يَهْتَفُ تَعَجُّبًا مِنْ فَوْرِهِ.

مَا الَّذِي اكْتَشَفَهُ بِلَاكِي؟ بَضْعُ رِيَشَاتٍ فَحَسَبُ. وَإِنَّ أَحَدًا لَا يَمْلِكُ عَيْنِي بِلَاكِي
الثَّاقِبَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ لِيَكْتَشِفَهَا. وَقَلِيلُونَ مَنْ كَانُوا سَيَسْتَوْقِفُهُمُ الْأَمْرُ إِنْ لَاحَظُوا الرِّيَشَاتِ.

وَلَكِنَّ بِلَاكِي عَلِمَ عَلَى الْفُورِ أَنَّهَا رِيَشَاتُ بَطٍّ. عَلِمَ أَنَّ بَطَّةً — أَوْ رُبَّمَا سِرْبًا مِنَ الْبَطِّ — كَانَتْ تَسْتَرِيحُ أَوْ تَأْكُلُ طَعَامَهَا فِي هَذَا الْمَكَانِ وَسَطَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ، وَعِنْدَمَا رَحَلَتْ، خَلَفَتْ وَرَاءَهَا رِيَشَتَيْنِ نَاعِمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا.

هَنَفَ بِلَاكِي: «أَه! كَانَ السَّيِّدُ وَالسَّيِّدَةُ كَوَاك أَوْ بَعْضُ أَقَارِبِهِمَا هُنَا. هَذَا النُّوعُ مِنَ الْأَمَاكِنِ تَحْدِيدًا يُفَضِّلُهُ الْبَطُّ. وَكَذَلِكَ فَإِنَّ بَعْضَ الْبَطِّ يُحِبُّ الدُّرَّةَ. وَإِذَا عَادَ إِلَى هُنَا وَوَجَدَ حَبَّاتِ الدُّرَّةِ هَذِهِ، فَسَيَجْعَلُ مِنْهَا وَلِيمَةً، وَبَعْدَهَا سَيَعُودُ مُجَدِّدًا بِالتَّأَكِيدِ. إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي نَتَرَ الدُّرَّةَ هُنَا لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ بُنْدُقِيَّةَ رَهِيْبَةٍ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ صَيَّادًا. فَرُبَّمَا يَعُودُ مَرَّةً أُخْرَى وَتَكُونُ فِي حَوَازَتِهِ حِينَهَا بُنْدُقِيَّةَ رَهِيْبَةٍ. إِنِّي لَأَرْتَابُ فِي ذَلِكَ الرَّجُلِ، أَجَلُ أَرْتَابُ فِيهِ. أَظُنُّ أَنَّهُ وَضَعَ الدُّرَّةَ هُنَا مِنْ أَجْلِ الْبَطِّ، وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ بِدَافِعِ طَيِّبَةٍ قَلْبِهِ. لَوْ كَانَ هَذَا الشَّخْصُ هُوَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوِن، كُنْتُ سَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ عَلَى مَا يَرَامُ، وَأَنَّهُ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْبَطِّ الْجَائِعِ، الَّذِي لَا يَجِدُ إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْأَمَاكِنِ حَيْثُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَأْكُلَ فِي أَمَانٍ أَتْنَاءَ رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ مِنَ الشَّمَالِ الْبَعِيدِ إِلَى الْجَنُوبِ الْمُشْمِسِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوِن. هَذَا الْأَمْرُ لَا يُرِيحُنِي. إِنَّهُ لَا يُرِيحُنِي الْبَتَّةَ. سَوْفَ أَوَاصِلُ مُرَاقَبَةَ هَذَا الْمَكَانِ وَأَرَى مَا سَيَحْدُثُ.»

وَطُولَ الطَّرِيقِ إِلَى مَكَانِهِ الْمُفْضَلِ عَلَى شَجَرَةِ شُوكِرَانٍ مُعَيَّنَةٍ فِي الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ، ظَلَّ بِلَاكِي يُفَكِّرُ فِي الدُّرَّةِ وَالرَّجُلِ الَّذِي بَدَأَ كَرِيمًا، وَكَلَّمَا فَكَّرَ فِي الْأَمْرِ أَكْثَرَ، ازْدَادَتْ شُكُوكُهُ. فَهُوَ لَمْ يَرْتَحِ لِذَلِكَ الْأَمْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَبَيْنَمَا كَانَ بِلَاكِي يَسْتَعِدُّ لِلنُّومِ، تَمَّتَمَ قَائِلًا: «سَوْفَ أَنْصَحُ عَائِلَةَ كَوَاك بِالِابْتِعَادِ عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ. سَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا أَفْعَلُهُ فِي الصَّبَاحِ. لَوْ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ ذَرَّةَ عَقْلٍ، فَسَوْفَ يَبْقَوْنَ عِنْدَ بَرَكَةِ الْقُنْدُسِ بَادِي. وَلَكِنَّهُمْ إِذَا نَهَبُوا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، فَسَيَجِدُونَ الدُّرَّةَ بِالتَّأَكِيدِ، وَإِذَا وَجَدُوهَا مَرَّةً، فَسَوْفَ يُوَاصِلُونَ الذَّهَابَ إِلَى هُنَاكَ مِنْ أَجْلِ الْمَزِيدِ. رُبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَلَكِنِّي غَيْرُ مُرْتَاحٍ لِمَا يَبْدُو عَلَيْهِ.»

وَنَامَ بِلَاكِي وَالشُّكُوكُ لَمْ تَزَلْ تَمْلَأُ قَلْبَهُ.

الفصل التاسع عشر

بلاكي يصل إلى مزيد من الاكتشافات

أَشْيَاءُ صَغِيرَةٌ غَيْرُ مَرِيئَةٍ
رُبَّمَا كَانَ لَهَا بَالُغُ الْأَهَمِّيَّةِ.

الْغُرَابُ بِلَاكِي

يَتَمَثَّلُ أَحَدُ أَسْرَارِ نَجَاحِ بِلَاكِي فِي أَنَّهُ لَا تُفَوِّتُهُ أَبَدًا مُلَاحَظَةُ الْأَشْيَاءِ الصَّغِيرَةِ؛ فَقَدْ تَعَلَّمَ مُنْذُ زَمَنٍ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي تَبْدُو غَيْرَ مُؤْذِيَةٍ فِي حَدِّ ذَاتِهَا وَغَيْرِ جَدِيرَةٍ بِالْمُلَاحَظَةِ، رُبَّمَا تُنْتِجُ مُجْتَمِعَةً أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ أَهَمِّيَّةً فِي الْحَيَاةِ. لِذَا، فَيَبْصُرُ النَّظَرَ عَنْ مَدَى عَدَمِ الْأَهَمِّيَّةِ الَّتِي قَدْ يَبْدُو عَلَيْهَا الشَّيْءُ، يَتَفَقَّدُهُ بِلَاكِي بِعِنَايَةٍ بَعِينِيَّةٍ الثَّاقِبَتَيْنِ هَاتَيْنِ وَيَتَذَكَّرُهُ. كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ فَعَلَهُ بِلَاكِي — بِمُجَرَّدِ أَنْ اسْتَيْقَظَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي لِاِكْتِشَافِهِ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يَنْتَرُ حَبَّاتِ الذُّرَّةِ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ فِي مَكَانٍ مُعَيَّنٍ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ — هُوَ أَنْ طَارَ إِلَى بِرْكَةِ الْقُنْدُسِ بَادِي، وَحَذَرَ السَّيِّدَ وَالسَّيِّدَةَ كَوَاكِ مَرَّةً أُخْرَى مِنَ الدُّنُوِّ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ إِذَا أَرَادَا أَنْ يَظَلَّا فِي أَمَانٍ هُمَا وَأَطْفَالُهُمَا السَّنَةُ. بَعْدَهَا تَنَاوَلَ إِفْطَارَهُ، تَنَاوَلَهُ فِي عَجَالَةٍ وَطَارَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ مُبَاشَرَةً؛ حَيْثُ شَاهَدَ الرَّجُلُ يَنْتَرُ الذُّرَّةَ. لَمْ يَتَفَاجَأْ بِلَاكِي كَثِيرًا بِرُؤْيَا ذِكْرِ الْبَطِّ الْأَسْوَدِ دَاسِكِي — ابْنِ عَمِّ السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ كَوَاكِ مِنْ عَائِلَةِ الْبَطِّ الْبَرِّيِّ — مَعَ عَدَدٍ مِنْ أَقَارِبِهِ وَسَطِ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ وَالْأُزْرِ الْبَرِّيِّ فِي نَفْسِ الْمَكَانِ الَّذِي نَثَرَتْ فِيهِ الذُّرَّةُ. بَدَوْا جَمِيعًا مَسْرُورِينَ وَمُبْتَهِجِينَ إِلَى أَقْصَى حَدِّ. وَقَدْ حَمَّنَ بِلَاكِي السَّبَبَ؛ إِذْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى وَلَوْ حَبَّةً وَاحِدَةً مِنَ الذُّرَّةِ الصَّفْرَاءِ. كَانَ

يَعْلَمُ طِبَاعَ داسكي وَأَقَارِبِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ جَاءُوا اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ وَقَتَ الْغَسَقِ وَقَوْرًا وَجَدُوا حَبَاتِ الدُّرَّةِ الْمُنْتَوْرَةِ. وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَظْلُونَ مُخْتَبِئِينَ هُنَاكَ حَتَّى يَجِدُوا مَا يُخْفِيهِمْ، وَحِينَهَا سَيَقْضُونَ بَقِيَّةَ النَّهَارِ فِي بَرْكَةٍ صَغِيرَةٍ؛ حَيْثُ يُسْتَبْعَدُ أَنْ يُزْعَجَهُمْ أَحَدٌ أَوْ عَلَى الْأَقْلَى لَنْ يَقْتَرِبَ مِنْهُمْ خَطَرٌ دُونَ أَنْ يَرَوْهُ قَبْلَ وَصُولِهِ بِوَقْتٍ طَوِيلٍ. وَهُنَاكَ سَوْفَ يَظْلُونَ طَوَالَ الْيَوْمِ، وَعِنْدَمَا تَزْحَفُ الظُّلَالُ السَّوْدَاءُ مِنْ نَاحِيَةِ التَّلَالِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ، يَعودُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ لِلْحُصُولِ عَلَى الطَّعَامِ؛ فَهَذَا هُوَ الْوَقْتُ الَّذِي يُفَضِّلُونَ الْبَحْثَ عَنِ الطَّعَامِ فِيهِ.

نَظَرَ داسكي لِأَعْلَى عِنْدَمَا حَلَّقَ بِلَاكِي مِنْ فَوْقِهِ، وَلَكِنَّ بِلَاكِي لَمْ يَقُلْ شَيْئًا، وَلَمْ يَقُلْ داسكي شَيْئًا. وَلَكِنْ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِلَاكِي قَدْ اسْتَحْدَمَ لِسَانَهُ، فَقَدْ اسْتَحْدَمَ عَيْنَيْهِ. وَرَأَى عَلَى حَافَةِ الشَّاطِئِ مَا يُشْبِهُ مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنَ الشُّجَيْرَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمُتَلَصِّقَةِ عِنْدَ حَافَةِ الْمَاءِ. وَكَانَ مُخْتَلِطًا مَعَهَا مَجْمُوعَةً كَبِيرَةً مِنْ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ الْبُنِّيَّةِ. بَدَتْ غَيْرَ مُؤْذِيَةٍ وَبَرِيئَةٍ لِلْغَايَةِ، وَلَكِنَّ بِلَاكِي كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ بَوْصَةٍ مِنَ شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الشُّجَيْرَاتِ لَمْ تَكُنْ فِي هَذَا الْمَكَانِ خَلَالَ الصَّيْفِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهَا لَمْ تَنْمُ فِي هَذَا الْمَكَانِ. فَطَارَ فَوْقَهَا مَبَاشَرَةً، وَوَجَدَ وَرَاءَهَا بَعْضَ قِطْعِ الْخَشَبِ. لَمْ تَكُنْ تِلْكَ الْأَخْشَابُ مَوْجُودَةً هُنَاكَ عِنْدَمَا مَرَّ بِذَلِكَ الْمَكَانِ مُنْذُ بَضْعَةِ أَيَّامٍ. كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ بِلَاكِي بِصَوْتٍ خَفِيفٍ: «أَهْ! تَبْدُو لِي هَذِهِ الشُّجَيْرَاتُ مُنَاسِبَةٌ — مُنَاسِبَةٌ تَمَامًا — لِجُلُوسِ صَيَّادٍ عَلَيْهَا. فَإِذَا جَلَسَ الصَّيَّادُ هُنَاكَ خَلْفَ هَذِهِ الشُّجَيْرَاتِ، فَسَيَتَوَارَى عَنْ أَنْظَارِ أَيِّ بَطَّةٍ قَدْ تَأْتِي لِلْبَحْثِ عَنِ الدُّرَّةِ الصَّفْرَاءِ اللَّذِيذَةِ الْمُنْتَوْرَةِ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ. هَذَا الْأَمْرُ لَا يَبْدُو مُرِيحًا، أَجَلْ، لَا يَبْدُو مُرِيحًا. أَظُنُّ أَنَّي سَأَرَاقِبُ هَذَا الْمَكَانَ.»

عَادَ بِلَاكِي عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَفِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ وَجَدَ أَنَّ داسكي وَأَقَارِبَهُ قَدْ غَادَرُوا الْمَكَانَ. وَعِنْدَمَا عَادَ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ، رَأَى الرَّجُلَ نَفْسَهُ الَّذِي رَأَاهُ عَصَرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ، وَكَانَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ؛ إِذْ كَانَ يَنْتَرِ الدُّرَّةَ الصَّفْرَاءَ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ. وَكَمَا حَدَثَ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، غَادَرَ الْمَكَانَ فِي قَارِبِ.

تَمَتَّمَ بِلَاكِي بَيْنَمَا يَهْزُ رَأْسُهُ: «هَذَا الْأَمْرُ لَا يُرِيحُنِي، أَجَلْ لَا يُرِيحُنِي.»

الفصل العشرون

بلاكي يُحذِّرُ الآخرينَ

عِنْدَمَا تَرَى غَيْرَكَ فِي خَطَرٍ،
نَبِّهْهُ وَلَوْ كَانَ غَرِيبًا لِيَأْخُذَ الْحَذَرَ.

الْغُرَابُ بِلَاكِي

ظَلَّ الرَّجُلُ يَأْتِي يَوْمِيًّا طِيلَةَ أُسْبُوعٍ فِي قَارِبٍ لِيَنْتَرُ الذَّرَّةَ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ فِي بُقْعَةٍ
بَعَيْنُهَا عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَكَانَ بِلَاكِي يُرَاقِبُهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَهْزُ رَأْسَهُ الْأَسْوَدَ مُحَدِّثًا
نَفْسَهُ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُرْتَاحٍ لِهَذَا الْأَمْرِ، وَأَنَّهُ مُتَأَكِّدٌ أَنَّ وَرَاءَهُ عَرَضًا شَرِيرًا. أحيانًا كَانَ بِلَاكِي
يُرَاقِبُ عَنْ بُعْدٍ، وَأحيانًا أُخْرَى كَانَ يُحَلِّقُ فَوْقَ الرَّجُلِ. وَلَكِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً
فِي أَيِّ مَرَّةٍ.

كَانَ بِلَاكِي يَطِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ، فَيَجِدُ دَاسِكِي وَأَقَارِبَهُ
بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ وَالْأُرْزِ الْبَرِّيِّ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُحَدَّدِ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَضَوْا اللَّيْلَ فِي هَذَا
الْمَكَانِ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ جَاءُوا اللَّيْلَةَ الْمَاضِيَةَ وَقَتَ الْعَسَقِ لِيَأْكُلُوا الذَّرَّةَ الصَّفْرَاءَ الَّتِي
يَنْتُرُهَا الرَّجُلُ عَصْرًا فِي هَذَا الْمَكَانِ.

قَالَ بِلَاكِي مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: «لَا شَأْنَ لِي بِمَا تَفْعَلُهُ تِلْكَ الْبَطَّاتُ، وَلَكِنِّي مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ
شَيْئًا سَيَحْدُثُ لِبَعْضِهِمْ يَوْمًا مَا مِثْلَ تَأْكُودِي مِنْ سَوَادِ رِيَشِ ذَيْلِي. رُبَّمَا انْطَلَتْ عَلَيْهِمْ
حُدُوعُ هَذَا الرَّجُلِ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَنْطَلِ عَلَيَّ، لَمْ تَنْطَلِ عَلَيَّ الْبَتَّةَ. لَمْ يَكُنْ مَعَهُ بُنْدُقِيَّةٌ فِي أَيِّ
مَرَّةٍ رَأَيْتُهُ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ صَيَّادٌ، أَشْعُرُ بِذَلِكَ فِي أَعْمَاقِي. إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْبَطَّاتِ الْحُمَقَاوَاتِ
تَأْتِي إِلَى هُنَا كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ أَجْلِ الذَّرَّةِ الَّتِي يَنْتُرُهَا، وَيَعْرِفُ أَنَّهَا بَعْدَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى هُنَا بَضْعَ

مَرَاتٍ دُونَ أَنْ تَجِدَ مَا يُخِيفُهَا، سَتَطْمَئِنُّ إِلَى أَنَّ الْمَكَانَ آمِنٌ، وَلَا تَشْكُ فِيهِ مُطْلَقًا. ثُمَّ إِنَّهُ سَوْفَ يَخْتَبِئُ خَلْفَ تِلْكَ الشُّجَيْرَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا بِالْقُرْبِ مِنْ حَافَةِ الْمَاءِ وَيَنْتَظِرُهَا بِبُنْدُوقِيَّتِهِ الرَّهِيْبَةِ. هَذَا هُوَ مَا سَيَفْعَلُهُ وَلَا شَكَّ.

أَخِيرًا قَرَّرَ بِلَاكِي أَنْ يَلْمَحَ بِالْأَمْرِ لِدَاسْكِي، فَذَهَبَ لِزِيَارَتِهِ صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِي. قَالَ بِلَاكِي لِدَاسْكِي، الَّذِي كَانَ يَسْبَحُ أَمَامَهُ: «صَبَاحُ الْخَيْرِ، أَتَمَنَّى أَنْ تَكُونَ فِي أَفْضَلِ حَالٍ كَمَا يَبْدُو عَلَيْكَ.»

رَدَّ دَاسْكِي قَائِلًا: «كُوكُ، كُوكُ، عِنْدَمَا يُطْرِي الْغُرَابُ بِلَاكِي أَحَدًا، فَإِنَّهُ يُرِيدُ مِنْهُ شَيْئًا. مَاذَا تُرِيدُ هَذِهِ الْمَرَّةَ؟»

رَدَّ بِلَاكِي: «لَا شَيْءَ، أَقْسَمُ بِشَرَفِي. لَا يُوْجَدُ شَيْءٌ يَعْنِينِي هُنَا، رَغْمَ أَنَّهُ يَبْدُو أَنَّهُ يُوْجَدُ الْكَثِيرُ لَكَ وَلِقَارِبِكَ، بِمَا أَنَّي أَجِدُكَ وَأَقَارِبَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ نَفْسِهِ كُلَّ صَبَاحٍ. مَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟»

رَدَّ دَاسْكِي بِصَوْتٍ خَفِيفٍ كَمَا لَوْ كَانَ خَائِفًا مِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ: «دُرَّةُ! دُرَّةُ صَفْرَاءُ لَذِيذَةُ!»

هَتَفَ بِلَاكِي مُتَعَجِّبًا: «دُرَّةُ! وَكَأَنَّ الْمُفَاجَأَةَ صَعَقَتْهُ. وَسَالٌ: «كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ الدُّرَّةُ إِلَى الْمِيَاهِ هُنَا؟»

هَزَّ دَاسْكِي رَأْسَهُ وَقَالَ: «لَا تَسْأَلْنِي؛ فَإِنَّا لَا أَدْرِي. لَيْسَ لَدَيَّ أَدْنَى فِكْرَةٍ. كُلُّ مَا أَعْرِفُهُ هُوَ أَنَّنَا نَجِدُهَا هُنَا عِنْدَمَا نَأْتِي كُلَّ مَسَاءٍ. كَيْفَ تَصِلُ إِلَى هُنَا، لَا أَعْرِفُ، كَمَا أَنَّي لَا أَهْتَمُّ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ. يَكْفِينِي وَجُودُهَا هُنَا.»

قَالَ بِلَاكِي: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا هُنَا يَأْتِي عَصْرَ كُلِّ يَوْمٍ. ظَنَنْتُ أَنَّهُ رُبَّمَا يَكُونُ صَيَّادًا. فَسَأَلْتُهُ دَاسْكِي بِارْتِيَابٍ: «هَلْ كَانَ يَحْمِلُ بُنْدُوقِيَّةً رَهِيْبَةً؟» رَدَّ بِلَاكِي: «لَا.»

فَهْتَفَ دَاسْكِي وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الْإِزْتِيَاخُ: «إِذَنْ هُوَ لَيْسَ صَيَّادًا.» فَقَالَ بِلَاكِي مُلْمَحًا إِلَى ظَنِّهِ: «وَلَكِنْ رُبَّمَا يَجْلِبُ مَعَهُ بُنْدُوقِيَّةً يَوْمًا مَا وَيَنْتَظِرُكُمْ حَتَّى تَأْتُوا لِتَنَاولِ الْعِشَاءِ. يُمْكِنُهُ أَنْ يَخْتَبِئَ خَلْفَ تِلْكَ الشُّجَيْرَاتِ، كَمَا تَعْلَمُ.»

الْقَى دَاسْكِي رَأْسَهُ إِلَى الْوَرَاءِ وَرَدَّ قَائِلًا: «غَيْرُ مَعْقُولٍ! لَمْ نَجِدْ شَيْئًا يَنْذُرُ بِالْخَطَرِ مُنْذُ أَنْ جِئْنَا إِلَى هُنَا. إِنِّي أَعْرِفُكَ يَا بِلَاكِي؛ إِنَّكَ تَغَارُ مِنَّا؛ لِأَنَّنَا وَجَدْنَا طَعَامًا وَفِيرًا هُنَا،

بلاكي يُحذِّرُ الْآخَرِينَ

وَلَمْ تَجِدْ أَنْتَ شَيْئًا، وَتُحَاوِلُ أَنْ تُخِيفَنَا. لَكِنِّي أَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخِيفَنَا وَتُبْعِدَنَا
عَنْ مِثْلِ هَذَا الطَّعَامِ الرَّائِعِ الَّذِي نَجِدُهُ هُنَا؛ فَإِلَيْكَ عَنَّا!»

الفصل الحادي والعشرون

بلاكي يتأكد أخيرًا

مَنْ يَتَغَلَّبُ عَلَى الْخَوْفِ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ
شَجَاعٌ حَقًّا، هَذَا أَكِيدُ.

الْغُرَابُ بِلَاكِي

فِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ فِتْرَةِ مَا بَعْدَ الظَّهِيرَةِ، كَانَ بِلَاكِي فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ.
وَكَالْمُعْتَادِ، مَرَّ فَوْقَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ الرَّجُلُ يَنْتَرُ حَبَاتِ الذُّرَّةِ مِنْ أَجْلِ الْبَطِّ؛
فَلَمْ يَجِدْهُ هُنَاكَ وَلَمْ يَرَ أَحَدًا عَلَى ضِفَافِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ.

فَكَرَّرَ بِلَاكِي قَائِلًا: «إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ الْيَوْمَ، أَوْ إِنَّهُ جَاءَ مُبَكَّرًا وَغَادَرَ.» ثُمَّ لَمَحَتْ عَيْنَاهُ
النَّاقِبَتَانِ شَيْئًا جَعَلَهُ يَمِيلُ جَانِبًا وَيَتَوَجَّهُ إِلَى شَجَرَةٍ مُعَيَّنَةٍ مُبَاشَرَةً، وَمِنْ فَوْقِ هَذِهِ
الشَّجَرَةِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى كُلَّ مَا يَحْدُثُ لِمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ. فَمَا الَّذِي رَأَاهُ بِلَاكِي؟ كَانَ مَا رَأَاهُ
قَارِبًا آتِيًا مِنْ أَعْلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ.

جَلَسَ بِلَاكِي ثَابِتًا يُرَاقِبُ مَا يَحْدُثُ. وَسُرْعَانَ مَا دَخَلَ الْقَارِبُ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ،
وَبَعْدَ لَحْظَةٍ نَزَلَ مِنْهُ رَجُلٌ عَلَى الشَّاطِئِ. كَانَ هُوَ نَفْسَ الرَّجُلِ الَّذِي رَأَاهُ بِلَاكِي يَنْتَرُ الذُّرَّةَ
بَيْنَ الزَّرْعِ يَوْمِيًّا طِيلَةَ أُسْبُوعٍ. لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَكٍّ فِي ذَلِكَ، كَانَ هُوَ ذَاكَ الرَّجُلَ نَفْسَهُ.

صَاحَ بِلَاكِي: «يَا هَ!» وَكَادَ يَفْقُدُ تَوَازُنَهُ مِنْ فَرَطِ الْإِثَارَةِ. «يَاااه! كَمَا تَوَقَّعْتُ تَمَامًا!»
كَانَتْ عَيْنَا بِلَاكِي النَّاقِبَتَانِ قَدْ لَمَحَتَا الرَّجُلَ يَحْمِلُ شَيْئًا، وَهَذَا الشَّيْءُ كَانَ بُنْدُوقِيَّةً، بُنْدُوقِيَّةً
رَهيبَةً. وَبِلَاكِي يُمَيِّزُ الْبَنَادِقَ الرَّهيبَةَ مَنَى وَقَعَ عَلَيْهَا بَصَرُهُ.

مَشَى الصَّيَّادُ - فَبِالطَّبْعِ كَانَ صَيَّادًا - عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الشُّجَيْرَاتِ
الَّتِي لَاحَظَهَا بِلَاكِي بِالقُرْبِ مِنَ الْمَاءِ، وَالَّتِي كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهَا لَمْ تَنْبُتْ فِي هَذَا الْمَكَانِ.
تَفَقَّدَ الصَّيَّادُ النَّهْرَ الْكَبِيرَ بِعَيْنَيْهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي نَزَرَ فِيهِ الذَّرَّةَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ،
فَلَمْ يَرِ بِهِ حَبَّةَ ذَرَّةٍ. وَبَدَأَ أَنَّ هَذَا أَسْعَدَهُ. ثُمَّ عَادَ إِلَى الشُّجَيْرَاتِ وَجَلَسَ عَلَى قِطْعَةٍ خَشَبٍ
خَلْفَهَا، وَاضِعًا بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهْيِيَّةَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ.

غَمَمَ بِلَاكِي: «كُنْتُ مُتَأَكِّدًا. سَوْفَ يَنْتَظِرُ هُنَاكَ حَتَّى قُدُومِ البَطِّ، وَبَعْدَهَا سَيَحْدُثُ
شَيْءٌ مَرُوعٌ. يَا لَهُمْ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ بَغِيضَةٍ هَؤُلَاءِ الصَّيَّادِينَ! إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا عَنِ
الْإِنْصَافِ. أَجَلْ، إِنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَا هُوَ الْإِنْصَافُ. لَقَدْ وَضَعَ الطَّعَامَ فِي هَذَا الْمَكَانِ يَوْمًا
بَعْدَ يَوْمٍ، حَيْثُ سَيَكُونُ مِنَ الْمُحْتَمِّ أَنْ يَجِدَهُ داسِكِي وَأَقَارِبُهُ، وَانْتَظَرَ حَتَّى اطْمَأَنَّنُوا تَمَامًا
إِلَى عَدَمِ وُجُودِ خَطَرٍ؛ حَتَّى لَا يَشْعُرُوا بِأَيِّ اِزْتِيَابٍ. إِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مُطْمَئِنِّينَ
تَمَامًا إِلَى أَنْ الْوَضْعَ آمِنٌ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَنْ يَأْخُذُوا جَذْرَهُمْ. حِينَهَا سَوْفَ يُطْلَقُ بُنْدُقِيَّتُهُ
الرَّهْيِيَّةَ وَيَقْتُلُهُمْ دُونَ مَنَاجِمِهِمْ أَيْ فُرْصَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ.»

«إِنَّ الثَّغْلَبَ رِيْدِي صَيَّادٌ مَآكِرٌ وَمَاهِرٌ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ شَيْئًا كَهَذَا، وَلَا الْقَبُوطُ
الْعُجُوزُ وَلَا أَيُّ كَائِنٍ آخَرَ مِنْ ذَوِي الْفُرُوشِ أَوْ الرِّيشِ. رُبَّمَا يَخْتَبِئُونَ وَيَحَاوِلُونَ مُبَاغَتَهُ
أَحَدِهِمْ. لَا بَأْسَ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يُفَرِّضُ بِكُلِّ مَنَّا أَنْ يَحْذَرَ مِثْلَ هَذِهِ الْأُمُورِ. يَا إِلَهِي! مَاذَا
عَسَايَ أَنْ أَفْعَلَ؟ لَقَدْ حَانَ وَقْتُ عَوْدَتِي إِلَى الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ؛ فَسَوْفَ تَأْتِي الظَّلَالُ السُّودَاءُ
عَمَّا قَرِيبٍ مِنْ وَرَاءِ التَّلَالِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ، وَيَجِبُ أَنْ أَكُونَ فِي أَمَانٍ شَجَرَةَ الشُّوْكَرَانِ آنَذَاكَ.
سَوْفَ أَمُوتُ مِنَ الْخَوْفِ إِذَا بَقِيتُ فِي الْخَارِجِ بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. لَكِنْ يَنْبَغِي تَحْذِيرُ تِلْكَ
الْبَطَّاتِ. يَا إِلَهِي! مَاذَا أَفْعَلُ؟!»

تَطَّلَعَ بِلَاكِي فِي اتِّجَاهِ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ ثُمَّ فِي اتِّجَاهِ التَّلَالِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ الَّتِي سَيَأْوِي
خَلْفَهَا قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ إِلَى فِرَاشِهِ قَرِيبًا. وَارْتَجَفَ عِنْدَمَا فَكَّرَ فِي
الظَّلَالِ السُّودَاءِ الَّتِي سَتَأْتِي عَمَّا قَرِيبٍ مِنْ عِنْدِ التَّلَالِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ غَابِرَةَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ
وَتَغْرُو الْمُرُوجَ الْخَضِرَاءَ. وَرُبَّمَا يَأْتِي مَعَهَا السَّيِّدُ هَوْتِي، الَّذِي لَنْ يُمَانِعَ مُطْلَقًا فِي تَنَاوُلِ
غُرَابٍ عَلَى الْعِشَاءِ. وَتَمَنَّى لَوْ كَانَ عَلَى شَجَرَةِ الشُّوْكَرَانِ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ.

بلاكي يَتَأَكَّدُ أَخِيرًا

ثُمَّ نَظَرَ بِلَاكِي إِلَى الصَّيَّادِ الَّذِي يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيْبَةَ وَفَكَرَ فِيمَا قَدْ يَحْدُثُ — مَا
الَّذِي مِنَ الْمُحْتَمِّ أَنْ يَحْدُثَ — مَا لَمْ يُحْدَرْ الْبَطُّ. وَتَمَّتْ قَائِلًا: «سَوْفَ أُنْتَظِرُ بُرْهَةً»
وَحَاوَلَ أَنْ يَتَشَجَّعَ، وَلَكِنَّهُ ارْتَعَدَ خَوْفًا بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ.

الفصل الثاني والعشرون

بلاكي يعودُ إلى المنزلِ سعيدًا

لَا سَعَادَةَ أَكْبَرُ مِنْ سَعَادَةِ مُسَاعَدَةِ الْغَيْرِ.

الْغُرَابُ بِلَاكِي

جَلَسَ بِلَاكِي عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ صِفَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ مُحْتَارًا بِشَأْنٍ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَهُ. أَرَادَ أَنْ يَعُودَ لِبَيْتِهِ عَلَى شَجَرَةِ الشُّوْكَرَانِ الْكَبِيرَةِ كَثِيفَةِ الْأَغْصَانِ فِي الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ قَبْلَ الْغَسَقِ؛ إِذْ إِنَّهُ يَخَافُ الظَّلَامَ؛ أَيْ إِنَّهُ يَخَافُ الْبَقَاءَ خَارِجَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ.

قَالَ صَوْتُ دَاخِلِهِ: «عُدْ إِلَى الْمَنْزِلِ؛ فَالْوَقْتُ الْآنَ يَتَسَّعُ بِالْكَادِ لِلْعُودَةِ قَبْلَ وُصُولِ الظَّلَالِ السَّوْدَاءِ. لَا تَضِعْ مَزِيدًا مِنَ الْوَقْتِ هُنَا. إِنَّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ لَيْتَكَ الْبَطَّاتِ الْحَمَقَاتِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ، وَلَا يُوجَدُ مَا يُمَكِّنُكَ فِعْلُهُ بِأَيِّ حَالٍ. هَيَّا عُدْ إِلَى الْمَنْزِلِ.»

قَالَ صَوْتُ خَفِيضٍ آخَرٍ دَاخِلَهُ: «انْتَظِرْ بِضِعْ دَقَائِقَ. لَا تَكُنْ جَبَانًا. يَنْبَغِي أَنْ تُخْبِرَ داسكي وَسِرْبَهُ أَنَّهُ تَمَّ صِيَادُ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةَ رَهِيْبَةٍ فِي انْتِظَارِهِمْ. هَلْ صَحِيحٌ أَنْ مَا يَحْدُثُ لِلْبَطِّ لَيْسَ مِنْ شَأْنِكَ؟! أَعِدِ التَّفَكِيرَ يَا بِلَاكِي؛ أَعِدِ التَّفَكِيرَ. مِنْ وَاجِبٍ كُلِّ مَنْ يَرَى خَطَرًا مُشْتَرَكًا أَنْ يُنْذِرَ جِيرَانَهُ. إِذَا حَدَثَ شَيْءٌ مُرَوِّعٌ لِداسكي لِأَنَّكَ كُنْتَ خَائِفًا مِنَ الظَّلَامِ؛ فَلَنْ يَهْنَأَ لَكَ بَالٌ أَبَدًا. ابْقَ قَلِيلًا وَوَاصِلِ الْمُرَاقَبَةِ.»

لَمْ يَمُضْ أَكْثَرُ مِنْ خَمْسِ دَقَائِقَ إِلَّا وَرَأَى بِلَاكِي شَيْئًا أَشْعَرَهُ بِالسَّعَادَةِ لِأَنَّهُ وَاصَلَ الْمُرَاقَبَةَ. كَانَ خَطًّا أَسْوَدَ يَتَحَرَّكُ بِالْقُرْبِ مِنْ صَفْحَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَكَانَ قَادِمًا نَحْوَهُ. كَانَ يَعْرِفُ مَا هَذَا الْخَطُّ الْأَسْوَدُ، فَنَظَرَ إِلَى الصِّيَادِ الْمُخْتَبِي خَلْفَ الشُّجَيْرَاتِ الْقَرِيبَةِ مِنْ

حَافَةَ الْمَاءِ. كَانَ الصَّيَادُ جَائِعًا عَلَى الْأَرْضِ مُمْسِكًا بِبُنْدُقِيَّتِهِ الرَّهْبِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَحْتَلِسُ النَّظَرَ مِنْ وَرَاءِ الشُّجَيْرَاتِ مُرَاقِبًا الْخَطَّ الْأَسْوَدَ. كَانَ يَعْرِفُ هُوَ الْآخَرُ مَا هُوَ ذَلِكَ الْخَطُّ الْأَسْوَدُ؛ إِنَّهُ يَرْبُ الْبَطَّ الطَّائِرَ.

ارْتَعَشَ بِلَاكِي مَرَّةً أُخْرَى مِنْ قِمَّةِ رَأْسِهِ وَحَتَّى أَحْمَصَ قَدَمِيهِ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ تَكُنِ الرَّعْشَةُ بِسَبَبِ خَوْفِهِ مِنَ الْبَقَاءِ خَارِجَ الْمَنْزِلِ فِي اللَّيْلِ، وَإِنَّمَا مِنْ فَرْطِ الْإِثَارَةِ؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الْبُطَّاتِ أَصْبَحَتْ تَتَوَقَّعُ لِمَزِيدٍ مِنَ الدُّرَّةِ؛ تِلْكَ الدُّرَّةُ الصُّفْرَاءُ اللَّذِيذَةُ الَّتِي كَانَتْ تَجِدُهَا كُلُّ لَيْلَةٍ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ مَنُتَوَّرَةٍ بَيْنَ النَّبَاتَاتِ أَمَامَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَبِئُ فِيهِ الصَّيَّادُ مَبَاشَرَةً، حَتَّى إِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْتَظَارَ قُدُومِ الظَّلَالِ السَّوْدَاءِ. كَانَتْ مُطْمَئِنَّةً تَمَامًا إِلَى عَدَمِ وُجُودِ خَطَرٍ، حَتَّى إِنَّهَا أَتَتْ لِتَأْكُلَ دُونَ أَنْتَظَارِ الظَّلَالِ السَّوْدَاءِ، كَمَا تَفْعَلُ فِي الْمُعْتَادِ. وَقَدْ كَانَ بِلَاكِي مَسْرُورًا؛ إِذْ رُبَّمَا صَارَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُحَدِّثَهَا.

نَحْوَ مُنْتَصَفِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، كَانَ سِرْبُ الْبَطِّ يَطِيرُ فَوْقَ الْمِيَاهِ مُبَاشَرَةً، بِقِيَادَةِ داسكي. وَيَا لِسُرْعَةِ طَيْرَانِ تِلْكَ الطُّيُورِ الْكَبِيرَةِ التَّسْعَةِ! كَانَ بِلَاكِي يَحْسُدُهَا عَلَى سُرْعَةِ أَجْنَحَتِهَا؛ فَقَدْ طَارَتْ مُتَجَاوِزَةً الصَّيَادَ الْمُحْتَبَى بَيْنَ الشُّجَيْرَاتِ وَقَطَعَتْ مَسَافَةً كَبِيرَةً فَوْقَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَلَوْهَلَا ظَنَّ بِلَاكِي أَنَّهَا سَتُوَاصِلُ طَرِيقَهَا إِلَى أَعْلَى النَّهْرِ وَلَنْ تَنْهَبَ لِنَتَاوُلِ الطَّعَامِ. ثُمَّ إِنَّهَا مَالَتْ نَحْوَ الضَّفَّةِ الْأُخْرَى، وَدَارَتْ فِي حَلَقَةٍ وَتَوَجَّهَتْ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الصَّيَادِ الْمُحْتَبَى. نَظَرَ بِلَاكِي إِلَيْهِ وَرَأَاهُ اسْتَعَدَّ لِإِطْلَاقِ النَّارِ.

فَدُونْ تَفَكِيرِ يُذَكِّرْ، بَسْطَ بِلَاكِي جَنَاحِيهِ وَطَارَ مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ، صَائِحًا بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «كَأُو كَأُو كَأُو كَأُو كَأُو! كَأُو كَأُو كَأُو كَأُو!» كَانَتْ هَذِهِ صَيْحَةُ الْخَطَرِ الَّتِي يَعْرِفُهَا كُلُّ مَنْ فِي الْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ.

عَلَى الْفُورِ دَارَ دَاسِكِي وَبَدَأَ فِي التَّحْلِيْقِ عَالِيًا وَتَبِعَهُ بَقِيَّةُ السَّرْبِ، وَحِينَ مَرُّوا مِنْ فَوْقِ الصَّيَّادِ الْمُخْتَبِي كَانُوا قَدْ وَصَلُوا إِلَى ارْتِفَاعٍ عَالٍ جَدًّا، حَتَّى لَمْ يَعُدْ إِطْلَاقُ النَّارِ عَلَيْهِمْ مُجْدِيًّا. بِالْفِعْلِ، صَوَّبَ الصَّيَّادُ بُنْدُقِيَّتَهُ نَاحِيَّتَهُمْ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُطْلِقِ النَّارَ؛ فَهُوَ لَمْ يَرَعْزْ فِي أَنْ يُخَيِّفَهُمْ حَتَّى يَعُودُوا مَرَّةً أُخْرَى. ثُمَّ اسْتَدَارَ السَّرْبُ وَحَلَّقَ عَائِدًا فِي الْإِتِّجَاهِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ، وَفِي غُضُونِ دَقَائِقٍ قَلِيلَةٍ كَانُوا مُجَرَّدَ خَطٍّ أَسْوَدَ فِي سَبِيلِهِ لِلِاخْتِفَاءِ عِنْدَ الطَّرَفِ الْأَخَرِ لِلنَّهْرِ الْكَبِيرِ.

بلاكي يَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ سَعِيدًا

اتَّجَهَ بلاكي نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ مُبَاشَرَةً، ضَاحِكًا أَثْنَاءَ طَيْرَانِهِ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْبَطَّ
لَنْ يَعُودَ إِلَّا بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. لَقَدْ أَنْقَذَهُمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَكَانَ سَعِيدًا لِلْغَايَةِ، حَتَّى إِنَّهُ
لَمْ يَلْحَظِ الظَّلَالَ السَّوْدَاءَ مِنَ الْأَسَاسِ. أَمَّا الصَّيَّادُ فَقَدْ وَقَفَ وَأَخَذَ يَهْزُ قَبْضَتَهُ لِبلاكي
مُتَوَعِّدًا.

الفصل الثالث والعشرون

بلاكي يَسْتَدْعِي ابْنَ الْمَزَارِعِ براون

اسْتَيْقَظَ بِلَاكِي شَاعِرًا بِسَعَادَةِ بِالْغَةِ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَنْقَذَ داسكي وَسَرَبَهُ مِنَ الصَّيَادِ صَاحِبِ
الْبُنْدُقيَّةِ الرَّهيبَةِ قَبْلَ الْعَسَقِ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ. لَمْ يَكُنْ مُتَأَكِّدًا تَمَامًا مِمَّا إِذَا كَانَتْ سَعَادَتُهُ
نَابِعَةً مِنْ إِنْقَازِ سَرَبِ الْبَطِّ بِتَحْذِيرِهِمْ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، أَمْ مِنْ إِحْبَاطِ خُطَّةِ الصَّيَّادِ؛
فَبِلَاكِي يَكْرَهُ الصَّيَّادِينَ ذَوِي الْبِنَادِقِ الرَّهيبَةِ، هُوَ فِي ذَلِكَ مِثْلُ سَكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضَرَاءِ
وَالْمُرُوجِ الْخَضَرَاءِ الصُّغَارِ جَمِيعًا.

بَدَأَ بِلَاكِي الْبُحْثَ عَنْ إِفْطَارِهِ مَسْرُورًا. وَبَعْدَ الْإِفْطَارِ، طَارَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ لِيَرَى مَا
إِذَا كَانَ داسكي يَأْكُلُ بَيْنَ النَّبَاتَاتِ النَّامِيَةِ عَلَى طُولِ الشَّاطِئِ فَلَمْ يَجِدْهُ، وَخَمَّنَ بِلَاكِي
أَنَّهُ وَسَرَبُهُ خَافُوا كَثِيرًا مِنْ تَحْذِيرِهِ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ لَمْ يَقْتَرِبُوا مِنَ الْمَكَانِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَاضِيَةِ.
تَمَتَّمَ بِلَاكِي قَائِلًا بَيْنَمَا كَانَ يَهْبِطُ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ، هِيَ نَفْسُ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَ
يُرَاقِبُ مِنْهَا الصَّيَّادَ عَصَرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ: «لَكِنَّهُمْ سَيَعُودُونَ بَعْدَ لَيْلَةٍ أَوْ نَحْوِهَا». وَأَرْدَفَ:
«سَوْفَ يَعُودُونَ، وَسَوْفَ يَعُودُ الصَّيَّادُ أَيْضًا. وَإِذَا رَأَيْتُ مَرَّةً أُخْرَى هُنَا؛ فَسَيُطْلِقُ النَّارَ
عَلَيَّ. لَقَدْ فَعَلْتُ كُلَّ مَا بَوَسَّعِي. عَلَى أَيِّ حَالٍ، لَا بُدَّ أَنْ داسكي يَمْتَلِكُ مَا يَكْفِي مِنَ التَّعْقُلِ
لِأَنَّهُ يَرْتَابَ فِي هَذَا الْمَكَانِ بَعْدَ ذَلِكَ التَّحْذِيرِ. مَنْ هَذَا؟ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ ابْنُ الْمَزَارِعِ براون.
أَتَمَنَّى لَوْ يَأْتِي إِلَى هُنَا. إِذَا عَرَفَ بِأَمْرِ هَذَا الصَّيَّادِ، فَرُبَّمَا يَفْعَلُ شَيْئًا لِإِبْعَادِهِ عَنْ هُنَا.
سَأَرَى إِنْ كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْتَدْعِيَهُ إِلَى هُنَا.»

بَدَأَ بِلَاكِي فِي الصِّيَاحِ كَمَا يَفْعَلُ عِنْدَمَا يَكْتَشِفُ شَيْئًا وَيَرْغَبُ فِي إِخْبَارِ الْآخَرِينَ بِهِ.
فَقَدْ صَاحَ كَمَا لَوْ كَانَ يَشْعُرُ بِإِثَارَةٍ بِالْغَةِ: «كَأُو كَأُو كَأُو كَأُو كَأُو كَأُو!»

لَمْ يَكُنْ لَدَى ابْنِ الْمَزَارِعِ براون مَا يَفْعَلُهُ هَذَا الصَّبَاحَ؛ لَذَا خَرَجَ لِلْمَشْيِ فِي الْمُرُوجِ الْحَضْرَاءِ، آمِلًا فِي رُؤْيَا بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ ذَوِي الرِّيشِ وَالْفَرَاءِ. وَسَمِعَ صَيَّحَاتِ بِلَاكِي الْمَلِيئَةِ بِالْحَمَاسِ؛ فَسَلَكَ ذَلِكَ الْإِتِّجَاهَ عَلَى الْفُورِ.

حَدَّثَ ابْنُ الْمَزَارِعِ براون نَفْسَهُ قَائِلًا: «لَقَدْ اكْتَشَفَ الْوَعْدُ الْأَسْوَدُ شَيْئًا عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. سَوْفَ أَذْهَبُ هُنَاكَ لِأَسْتَطْلِعَ الْأَمْرَ، فَلَا يُوْجَدُ مَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفُوتَ عَيْنِي هَذَا الْغُرَابُ الْفُضُولِيُّ الْأَسْوَدُ الثَّاقِبَتَيْنِ. لَقَدْ قَادَنِي إِلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُثِيرَةِ، مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. هَا هُوَ هُنَاكَ عَلَى قِمَّةِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ.»

عِنْدَمَا اقْتَرَبَ ابْنُ الْمَزَارِعِ براون، طَارَ بِلَاكِي وَاحْتَفَى أَسْفَلَ ضِفَّةِ النَّهْرِ. فَضَحِكَ ابْنُ الْمَزَارِعِ براون وَتَمَتَّمَ: «أَيَّا كَانَ الشَّيْءُ، فَهُوَ هُنَاكَ بِالْأَسْفَلِ.»

ثُمَّ تَقَدَّمَ مُسْرِعًا وَلَكِنْ فِي هُدُوءٍ، وَسُرْعَانَ مَا وَصَلَ إِلَى حَافَةِ الضَّفَّةِ. فَطَارَ بِلَاكِي إِلَى أَعْلَى وَهُوَ يَنْعُقُ بِاهْتِيَاكِ مُتَظَاهِرًا بِالْفَرَعِ؛ فَضَحِكَ ابْنُ الْمَزَارِعِ براون مَرَّةً أُخْرَى وَقَالَ: «إِنَّكَ تَتَظَاهَرُ، تُحَاوِلُ التَّظَاهَرَ بِأَنَّنِي فَاجَأْتُكَ، بَيْنَمَا كُنْتُ تَعْلَمُ طَوَالَ الْوَقْتِ أَنَّي قَادِمٌ وَكُنْتُ تَنْتَظِرُنِي. مَاذَا وَجَدْتَ هُنَا؟»

جَالَ بِبَصَرِهِ فِي الشَّاطِئِ بِلَهْفَةٍ، وَمَا لَبِثَ أَنْ رَأَى صَفًّا مِنَ الشَّجِيرَاتِ الْقَصِيرَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ حَافَةِ الْمَاءِ؛ فَعَلِمَ مَا هِيَ عَلَى الْفُورِ. وَصَاحَ: «مَخْبَأً لَصَيْدِ الْبَطِّ! لَقَدْ بَنَى أَحَدُ الصَّيَّادِينَ مَخْبَأً هُنَا يُمَكِّنُهُ صَيْدُ الْبَطِّ مِنْهُ. يَا تَرَى هَلِ اصْطَادَ مِنْهُ فِعْلًا؟ أَتَمَنَّى أَلَّا يَكُونَ قَدْ فَعَلَ.»

نَزَلَ إِلَى الْمَخْبَأِ وَتَفَقَّدهُ. وَلَمَحَتْ عَيْنَاهُ حَبَّتِي دُرَّةٍ دَاخِلَ الْمَخْبَأِ، فَعَبَسَ وَجْهَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «ذَاكَ الرَّجُلُ يَسْتَدْرِجُ الْبَطَّ، فَقَدْ كَانَ يَنْتَرُ الذَّرَّةَ لِيَجْعَلَهُ يَأْتِي إِلَى هُنَا بِانْتِظَامٍ. يَا إِلَهِي! كَمْ أَكْزَرَهُ ذَلِكَ! إِنَّ صَيْدَ الْبَطِّ دُونَ خِدَاعِ أَمْرِ سَيِّئٍ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، وَلَكِنَّ إِطْعَامَهُ ثُمَّ قَتْلَهُ ... أَفْ! يَا تَرَى هَلِ اصْطَادَ أَيًّا مِنْهُ؟!»

نَظَرَ حَوْلَهُ مُتَأَمِّلًا، ثُمَّ صَفَا وَجْهَهُ؛ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ اصْطَادَ أَيَّ بَطٍّ؛ لَوَجَدَ رِيشًا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَخْبَأِ، وَهُوَ لَمْ يَجِدْ أَيَّ رِيشٍ.

الفصل الرابع والعشرون

ابن المزارع براون يفكر

جَلَسَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوْنَ عَلَى ضِفَّةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ يُفَكِّرُ مَلِيًّا؛ أَيَّ إِنَّهُ اسْتَغْرَقَ فِي التَّفَكِيرِ. وَجَلَسَ بِلَاكِي عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ وَرَاحَ يُرَاقِبُهُ. كَانَ بِلَاكِي صَامِتًا آنَ ذَاكَ، وَقَدْ لَاحَتْ نَظْرُهُ فَهُمْ فِي عَيْنَيْهِ الصَّغِيرَتَيْنِ الْفَطِنَتَيْنِ. فَبَاسْتِدْعَائِهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوْنَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ، كَانَ قَدْ فَعَلَ كُلَّ مَا بَوُسْعِهِ، وَكَانَ رَاضِيًا إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ عَنْ تَرْكِ الْأَمْرِ لَهُ.

قَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوْنَ فِي نَفْسِهِ: «بَنَى أَحَدُ الصَّيَّادِينَ هَذَا الْمَخْبَأَ لِكَيْ يَصِيدَ الْبَطَّ الْأَسْوَدَ مِنْهُ، وَاسْتَدْرَجَهُ إِلَى هُنَا بِنَثْرِ الذُّرَّةِ لَهُ. وَإِنَّ الْبَطَّ الْأَسْوَدَ مِنْ أَدْنَى أَنْوَاعِ الْبَطِّ الطَّائِرِ، وَلَكِنَّهُ إِذَا كَانَ يَأْتِي إِلَى هُنَا كُلَّ مَسَاءٍ وَيَجِدُ الذُّرَّةَ وَلَا يُوْجَدُ مَا يُنْذِرُ بِالْخَطَرِ، فَسَيَعْتَقِدُ عَلَى الْأَغْلَبِ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ آمِنٌ وَيَأْتِي مُبَاشَرَةً إِلَيْهِ دُونَ أَدْنَى شَكٍّ. وَاللَّيْلَةُ — أَوْ لَيْلَةٌ أُخْرَى عَمَّا قَرِيبٍ — سَيَكُونُ الصَّيَّادُ فِي انْتِظَارِهِ.

أَعْتَقِدُ أَنَّ الْقَانُونَ الَّذِي يَسْمَحُ بِصَيْدِ الْبَطِّ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ قَانُونٍ يَمْنَعُ اسْتِدْرَاجِهِ بِالطَّعَامِ. لَيْسَ هَذَا صَيِّدًا، بَلَى لَيْسَ صَيِّدًا. لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ مِلْكًا لِأَبِي، لَعَرَفْتُ كَيْفَ أَتَصَرَّفُ. كُنْتُ سَاضِعُ لَوْحَةٍ مَكْتُوبًا عَلَيْهَا: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ مِلْكِيَّةٌ خَاصَّةٌ وَلَا يُسَمَحُ بِالصَّيْدِ فِيهَا. وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِلْكًا لِأَبِي، وَلِهَذَا الصَّيَّادُ كُلُّ الْحَقِّ فِي الصَّيْدِ هُنَا. لَهُ حَقُّ التَّوَاجُدِ هُنَا مِثْلِي تَمَامًا. لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْنَعَهُ، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُ كَيْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ.»

عَبَسَ وَجْهُ ابْنِ الْمَزَارِعِ براون المَلِيءُ بِالنَّمَشِ؛ فَقَدْ كَانَ يُفَكِّرُ بِتَرْكِيزٍ شَدِيدٍ، وَعِنْدَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ عَادَةً مَا يَعْبَسُ.

وَعَمَّغَمَ: «أَطْلُ أَنْنِي يُمَكِّنُنِي هَذُمُ هَذَا الْمَخْبَأُ، وَلَنْ يَعْلَمَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ. وَلَكِنَّ هَذَا لَنْ يُحْدِثَ فَارِقًا كَبِيرًا؛ فَسَوْفَ يَبْنِي مَخْبَأً آخَرَ. عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَصَرُّفًا سَلِيمًا. فَإِنَّ لَهُ كُلَّ الْحَقِّ فِي بِنَاءِ مَخْبَأٍ هُنَا، وَقَدْ بَنَاهُ. إِنَّهُ مِلْكُهُ وَلَيْسَ مِنْ حَقِّي أَنْ أَمْسَهُ. لَنْ أَفْعَلَ شَيْئًا لَا يَحِقُّ لِي فَعْلُهُ؛ فَذَلِكَ لَيْسَ مِنَ النَّزَاهَةِ فِي شَيْءٍ. عَلَيَّ أَنْ أَفَكِّرَ فِي طَرِيقَةٍ أُخْرَى لِإِنْقَازِ ذَلِكَ الْبَطِّ.»

زَادَ وَجْهُهُ غُبُوسًا وَجَلَسَ فَتَرَّةً طَوِيلَةً دُونَ حَرَكَ. فَجَاءَتْ صَفَا وَجْهُهُ، وَهَبَّ وَاقِفًا. وَبَدَأَ فِي الضَّحِكِ قَائِلًا: «وَجَدْنَاهَا! سَوْفَ أُطْلِقُ النَّارَ أَنَا أَيْضًا!» ثُمَّ ضَحِكَ مَرَّةً أُخْرَى وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَسُرْعَانَ مَا بَدَأَ يُصَفِّرُ بِالطَّرِيقَةِ ذَاتَهَا الَّتِي يُصَفِّرُ بِهَا عِنْدَمَا يَكُونُ سَعِيدًا.

شَاهَدَهُ بِلَاكِي يَمْضِي فِي طَرِيقِهِ، وَشَعَرَ بِالرِّضَا التَّامِّ. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يُخَطِّطُ لَهُ ابْنُ الْمَزَارِعِ براون، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ يُخَطِّطُ لَشَيْءٍ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَصِيرُ عَلَى مَا يُرَامُ. رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ بِلَاكِي سَيَشْعُرُ بِتِلْكَ الثَّقَّةِ لَوْ كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ فَهْمُ مَا قَالَهُ ابْنُ الْمَزَارِعِ براون بِشَأْنِ إِطْلَاقِ النَّارِ بِنَفْسِهِ.

مَضَى بِلَاكِي فِي سَبِيلِهِ، وَقَدْ رَضِيَ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سَيَصِيرُ عَلَى مَا يُرَامُ، وَلَمْ يَعُدْ بِهِ حَاجَةً لِلْقَلْقِ عَلَى ذَلِكَ الْبَطِّ. فَلَا يُوجَدُ بَيْنَ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ الصَّغَارِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِابْنِ الْمَزَارِعِ براون مِنَ الْغُرَابِ بِلَاكِي. وَهُوَ خَيْرٌ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ براون هُوَ أَفْضَلُ صَدِيقٍ لَهُمْ.

قَالَ بِلَاكِي ضَاحِكًا: «كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ الْآنَ، كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ.» وَعِنْدَمَا سَمِعَ صَفِيرَ ابْنِ الْمَزَارِعِ براون الْمُبْتَهَجِ تَحْمِلُهُ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَّةُ، كَرَّرَ قَوْلَهُ: «كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ الْآنَ.»

الفصل الخامس والعشرون

صَدْمَةٌ شَدِيدَةٌ

عِنْدَمَا يَخُونُ الصَّدِيقُ، بِمَنْ تَتَّقُ؟
تَرَى بَرَاعِمَ الثَّقَةِ تَفْتَتَّتْ.

الْغُرَابُ بِلَاكِي

كَانَ بِلَاكِي وَاقِفًا عَلَى قِمَّةِ شَجَرَتِهِ الْمُفَضَّلَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ مُبَكِّرًا عَصَرَ هَذَا الْيَوْمِ. لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَا سَوْفَ يَحْدُثُ، وَلَكِنَّهُ شَعَرَ فِي أَعْمَاقِهِ بِأَنَّ شَيْئًا مَا سَيَحْدُثُ، وَقَرَّرَ أَنْ يَكُونَ حَاضِرًا لِيَعْرِفَ. جَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ طَوِيلًا دُونَ أَنْ يَرَى شَيْئًا خَارِجًا عَنِ الْمَأْلُوفِ. وَفِي النِّهَايَةِ لَمَحَ عَلَى بُعْدٍ خَيَالًا ضَيِّلًا عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ، وَحَتَّى مِنْ هَذِهِ الْمَسَافَةِ كَانَ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ؛ كَانَ ذَلِكَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ، وَكَانَ قَادِمًا نَحْوَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ.

قَالَ بِلَاكِي ضَاحِكًا: «كَمَا ظَنَنْتُ بِالضَّبِطِ! إِنَّهُ قَادِمٌ لِيَطْرُدَ الصَّيَادَ مِنْ هُنَا.»
أَخَذَ الْخَيَالَ يُقْتَرِبُ وَيَكْبُرُ، وَتَأَكَّدَ أَنَّهُ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ دُونَ شَكٍّ. وَفَجْأَةً، اتَّسَعَتْ عَيْنَا بِلَاكِي عَنْ آخِرِهِمَا كَمَا لَوْ كَانَتَا سَتَتَيْنِ مِنْ رَأْسِهِ. فَقَدْ اكْتَشَفَ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ يَحْمِلُ شَيْئًا، وَهَذَا الشَّيْءُ كَانَ بُنْدُقيَّةً! نَعَمْ، كَانَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ يَحْمِلُ بُنْدُقيَّةً رَهيبَةً! لَوْ كَانَ بِلَاكِي قَادِرًا عَلَى فَرْكِ عَيْنَيْهِ، لَفَعَلَ، حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ سَلَامَتِهِمَا.
صَاحَ بِلَاكِي: «بُنْدُقيَّةً! ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ يَحْمِلُ بُنْدُقيَّةً رَهيبَةً! مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ؟»

اَقْتَرَبَ ابْنُ الْمَزَارِعِ براونَ أَكْثَرَ، فَصَارَ بِإِمْكَانِ بِلَاكِي رُؤْيَا الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهْبِيَّةِ بُوْضُوحٍ. وَفَجْأَةً طَرَأَتْ عَلَى ذَهْنِهِ فِكْرَةٌ: «رُبَّمَا يَكُونُ ذَاهِبًا لِإِطْلَاقِ النَّارِ عَلَى الصَّيَّادِ!» وَحِينَهَا شَعَرَ بِبَعْضِ الْإِزْتِيَّاحِ.

وَصَلَ ابْنُ الْمَزَارِعِ براونَ إِلَى نُقْطَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ عَنِ الْمَخْبَأِ الَّذِي بَنَاهُ الصَّيَّادُ، وَوَضَعَ بُنْدُقِيَّتَهُ عَلَى صِفَّةِ النَّهْرِ وَنَزَلَ إِلَى حَافَةِ الْمَاءِ. كَانَتْ نَبَاتَاتُ السَّمَارِ تَنْمُو بِكثَافَةٍ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ، وَظَلَّ ابْنُ الْمَزَارِعِ براونَ مَشْغُولًا فَتْرَةً بَيْنَهَا. كَانَ بِإِمْكَانِ بِلَاكِي رُؤْيَا مِنْ مَوْقِعِهِ، وَإِذْ أَخَذَ يَرِاقِبُهُ، كَانَتْ حَيْرَتُهُ فِي اِزْدِيَادٍ. بَدَأَ الْأَمْرُ كَمَا لَوْ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ براونَ يَبْنِي مَخْبَأً كَمَخْبَأِ الصَّيَّادِ تَمَامًا. وَفِي النِّهَايَةِ أَخَذَ قِطْعَةً خَشَبٍ قَدِيمَةً إِلَى هُنَاكَ، وَأَخْضَرَ بُنْدُقِيَّتَهُ وَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ كَمَا فَعَلَ الصَّيَّادُ فِي مَخْبِئِهِ عَصْرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ. كَانَ مِنْ الصَّعْبِ رُؤْيَا رُؤْيَا وَهُوَ فِي هَذَا الْمَخْبَأِ، إِلَّا مِنْ مَكَانٍ عَالٍ كَمَكَانِ بِلَاكِي.

شَهِقَ بِلَاكِي وَقَالَ: «أَنَا ... أَنَا ... أَنَا أَظُنُّهُ سَيُطْلِقُ النَّارَ عَلَى الْبُطِّ بِنَفْسِهِ! لَمْ أَكُنْ لِأُصَدِّقْ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ. لَا لَمْ أَكُنْ لِأُصَدِّقْ. أَنَا ... أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصَدِّقَ ذَلِكَ الْآنَ. ابْنُ الْمَزَارِعِ براونَ يَصْطَادُ بِبُنْدُقِيَّةٍ رَهْبِيَّةٍ! وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَصَدِّقَ عَيْنِي.»

لَفَتَتْ اِئْتِبَاهُهُ ضَوْضَاءُ صَادِرَةٍ مِنْ أَعْلَى النَّهْرِ، كَانَتْ ضَوْضَاءُ سَبَبِهَا مَجْدَافًا قَارِبٍ، وَكَانَ فِيهِ صَيَّادٌ يَجْدُفُ بِقَارِبِهِ فِي النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَتَمَامًا كَمَا فَعَلَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ، تَرَجَّلَ عَلَى الشَّاطِئِ عِنْدَ الْمَخْبَأِ وَنَزَلَ إِلَيْهِ مَشْيًا.

تَمَتَّمَ بِلَاكِي: «هَذَا الْمَكَانُ لَيْسَ مُنَاسِبًا لِي؛ فَسَوْفَ يَتَذَكَّرُ أَنِّي أَخَفْتُ الْبُطَّ الْبَارِحَةَ، وَعَلَى الْأَغْلَبِ سَيَحَاوِلُ إِصَابَتِي.»

بَسَطَ بِلَاكِي جَنَاحَيْهِ الْأَسْوَدَيْنِ وَطَارَ مِنْ عَلَى قِمَّةِ الشَّجَرَةِ سَرِيعًا، وَتَوَجَّهَ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى وَرَاءَهَا بِمَسَافَةٍ فِي الْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ حَيْثُ سَيَكُونُ بِأَمَانٍ أَكْبَرَ، وَلَكِنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَرَى أَيْضًا. فَجَلَسَ هُنَاكَ حَتَّى نَبَهَتْهُ الظَّلَالُ السَّوْدَاءُ إِلَى أَنَّهُ قَدْ حَانَ وَقْتُ الْعُودَةِ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ.

كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُسْرِعَ؛ فَقَدْ تَأَخَّرَ عَنِ الْمُعْتَادِ، وَكَانَ خَائِفًا مِنَ الْبَقَاءِ خَارِجَ الْمَنْزِلِ بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. وَبِمَجْرَدِ أَنْ وَصَلَ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ، سَمِعَ صَوْتَ إِطْلَاقِ نِيرَانٍ خَافِتًا

صَدْمَةٌ شَدِيدَةٌ

مِنْ نَاحِيَةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَعَلِمَ أَنَّهُ صَادِرٌ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَبِئُ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَن
بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ.

صَرَخَ بِلَاكِي: «إِنَّهَا الْحَقِيقَةُ إِذَنْ! لَقَدْ تَحَوَّلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَن إِلَى صَيَّادٍ.» كَانَتْ
صَدْمَةٌ شَدِيدَةٌ عَلَى بِلَاكِي حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَنْمَ إِلَّا بَعْدَ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ.

الفصل السادس والعشرون

لِمَاذَا لَمْ يَصْطِدِ الصَّيَّادُ أَيَّ بَطَّاتٍ؟

رَأَى الصَّيَّادُ الَّذِي جَاءَ عَنْ طَرِيقِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ فِي قَارِبٍ وَرَسًا بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ داسكي وَسِرْبُهُ يَجِدُونَ فِيهِ الذُّرَّةَ الصَّفْرَاءَ اللَّذِيذَةَ مَنُثُورَةً بَيْنَ النَّبَاتَاتِ لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ؛ الْغُرَابُ بِلَاكِي يُعَادِرُ قِمَّةَ إِحْدَى الْأَشْجَارِ عِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنَ الْمَكَانِ.

قَالَ الصَّيَّادُ: «خَيْرٌ لَكَ أَنْتَ لَمْ تَنْتَظِرْ اقْتِرَابِي أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ. فَأَنْتَ ذِكِّي بِمَا يَكْفِي لَأَنْ تَعْرِفَ أَنَّكَ لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَخْدَعَنِي الْخُدْعَةَ نَفْسَهَا مَرَّتَيْنِ. لَقَدْ أَخَفَتِ الْبُطُّ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ، وَلَكِنْ إِذَا حَاوَلْتَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَسَوْفَ أُطْلِقُ عَلَيْكَ النَّارَ دُونَ تَرَدُّدٍ.»

ثُمَّ ذَهَبَ الصَّيَّادُ إِلَى الْمَخْبَأِ الَّذِي بَنَاهُ مِنَ الشُّجَيْرَاتِ وَنَبَاتَاتِ السَّمَارِ، وَرَبَضَ خَلْفَهُ حَامِلًا بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِييَّةَ، مُنْتَظِرًا وَمُتَرَقِّبًا وَصُولَ داسكي وَسِرْبِهِ.

تَذَكَّرُوا أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن كَانَ مُخْتَبِئًا آنَذَاكَ عَلَى مَسَافَةٍ أَبْعَدَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، فِي الْمَخْبَأِ الَّذِي بَنَاهُ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَلَمْ يَرَهُ الصَّيَّادُ مُطْلَقًا. لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى فِكْرَةٍ عَنْ وُجُودِ شَخْصٍ آخَرَ فِي الْجَوَارِ. فَكَّرَ الصَّيَّادُ قَائِلًا: «أَمَّا وَقَدْ تَخَلَّصْتُ مِنْ ذَلِكَ الْغُرَابِ، أَعْتَقِدُ أَنَّي سَأَصْطَادُ بَعْضَ الْبُطِّ اللَّيْلَةِ.» وَنَظَرَ إِلَى بُنْدُقِيَّتِهِ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّهَا جَاهِزَةٌ. فِي الْغُرْبِ، كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ قَدْ اسْتَعَدَّ لِلذَّهَابِ إِلَى النُّومِ خَلْفَ التَّلَالِ الْأَرْجَوَانِيَّةِ، وَبَدَأَتِ الظُّلَالُ السَّوْدَاءُ تَرْحَفُ عَلَى الْأَنْحَاءِ. وَمِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ أَسْفَلَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، رَأَى الصَّيَّادُ خَطًّا أَسْوَدَ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ فَوْقَ سَطْحِ الْمَاءِ مُبَاشَرَةً، فَتَمَنَّمَ قَائِلًا: «هَا هُوَ قَادِمٌ!» بَيْنَمَا رَاحَ يُرَاقِبُ اقْتِرَابَ هَذَا الْخَطِّ الْأَسْوَدِ بِلَهْفَةٍ.

دَارَتِ الْبَطَّاتُ السَّوْدَاءُ مَرَّتَيْنِ فَوْقَ النَّهْرِ الْكَبِيرِ فِي الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ لِلْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَرِبُضُ فِيهِ الصَّيَّادُ فِي مَخْبِئِهِ. كَانَ وَاضِحًا أَنَّ قَائِدَهَا داسكي تَذَكَّرَ تَحْذِيرَ بِلَاكِي فِي

اللَّيْلَةَ السَّابِقَةَ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ تَحْذِيرٍ هَذِهِ الْمَرَّةَ. وَبَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ. دَارَ السَّرْبِ مَرَّةً أُخْرَى ثُمَّ تَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الْمَكَانِ الَّذِي يَأْمُلُ أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْمَزِيدَ مِنْ حُبُوبِ الذُّرَّةِ. فَانْحَنَى الصَّيَّادُ لِأَسْفَلَ أَكْثَرَ. كَادَ السَّرْبُ يَكُونُ فِي مَرْمَى نِيرَانٍ بُنْدُقِيَّتِهِ عِنْدَمَا دَوَّى صَوْتُ إِطْلَاقِ نِيرَانٍ عَلَى مَقْرِبَةٍ.

عَلَى الْفُورِ اسْتَدَارَ داسكي وَالسَّرْبُ وَزَفَرُوا بِأَجْنِحَتِهِمْ بِسُرْعَةٍ مُحَلِّقِينَ نَاحِيَةَ أَعْلَى النَّهْرِ. شَعَرَ الصَّيَّادُ بِإِحْبَاطٍ بَالِغٍ. وَتَمَتَّمَ قَائِلًا: «ثَمَّةَ صَيَّادٍ آخَرُ، وَقَدْ أَضَاعَ عَلَيَّ فُرْصَتِي هَذِهِ الْمَرَّةَ. لَا بُدَّ أَنْ لَدَيْهِ مَخْبَأً بِالْقُرْبِ مِنْ هُنَا. وَرُبَّمَا أَتَى إِلَيْهِ بَعْضُ الْبُطِّ وَلَمْ أَرَهُ. يَا تُرَى هَلِ اصْطَادَهُ؟ أَمَلٌ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا السَّرْبُ إِلَى هُنَا أَوَّلًا فِي الْمَرَّةِ الْمُقْبِلَةِ.»

عَادَ الصَّيَّادُ إِلَى وَضْعِهِ السَّابِقِ مَرَّةً أُخْرَى، وَاسْتَقَرَّ فِي مَكَانِهِ اسْتِعْدَادًا لِفَتْرَةِ انْتِظَارٍ طَوِيلَةٍ. تَسَلَّلَتِ الظُّلَالُ السُّودَاءُ مِنَ الصُّفَّةِ الْبَعِيدَةِ لِلنَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ فَقَدْ كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرِ الْمُسْتَدِيرِ الْمَرِحِّ قَدْ أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، وَسَطَعَتْ أَوَّلُ نَجْمَةٍ صَغِيرَةٍ عَالِيَةٍ فِي السَّمَاءِ. كَانَ الْمَكَانُ سَاكِناً وَهَادِئاً. ثُمَّ جَاءَ صَوْتُ بَطَّةٍ خَفِيفُ مِنْ وَسْطِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ؛ فَقَدْ كَانَ داسكي وَسِرْبُهُ آتِينَ سَبَاحَةً آنَذَاكَ. وَسُرْعَانَ مَا اسْتَطَاعَ الصَّيَّادُ رُؤْيَةً خَطَّ فِضِّيٍّ عَلَى الْمَاءِ، وَبَعْدَهَا مَيِّزٌ تَسَعٍ بُقْعٍ سَوْدَاءٍ. وَفِي غُضُونٍ دَقَائِقٍ قَلِيلَةٍ، كَادَتْ تِلْكَ الْبَطَّاتُ تَصِيرُ فِي مَرْمَى نِيرَانٍ بُنْدُقِيَّتِهِ.

دَوَّى صَوْتُ إِطْلَاقِ النَّارِ مَرَّةً أُخْرَى مِنَ الْبُنْدُقِيَّةِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُ، فَزَفَرَفَ داسكي وَسِرْبُهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ فِي صَحْبٍ وَطَارُوا بَعِيداً. وَقَفَ الصَّيَّادُ وَقَالَ شَيْئاً؛ شَيْئاً غَيْرَ مُهَذَّبٍ. فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الْبُطَّ لَنْ يَعُودَ مَرَّةً أُخْرَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَأَنَّهُ سَيَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ مَرَّةً أُخْرَى خَالِي الْوِفَاضِ. وَلَكِنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يَذْهَبَ أَوَّلًا لِمَعْرِفَةِ مَنْ هُوَ الصَّيَّادُ الْآخَرُ وَإِذَا كَانَ قَدْ حَالَفَهُ الْحُظُّ فِي صَيْدِهِ؛ لِذَا مَشَى عَلَى الشَّاطِئِ نَحْوَ الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ صَوْتُ الْبُنْدُقِيَّةِ صَادِراً مِنْهُ، وَوَجَدَ مَخْبَأً ابْنِ الْمَزَارِعِ براون، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ أَحَدٌ؛ فَقَدْ انْسَلَّ ابْنُ الْمَزَارِعِ براون مِنْ مَخْبِئِهِ وَغَادَرَ الْمَكَانَ بِمُجَرَّدِ أَنْ أَطْلَقَ النَّارَ مِنْ بُنْدُقِيَّتِهِ آخِرَ مَرَّةٍ. وَبَيْنَمَا كَانَ يَمْشِي عَبْرَ الْمُرُوجِ الْحَضَرَاءِ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ إِلَى الْمَنْزِلِ حَامِلاً بُنْدُقِيَّتَهُ، كَانَ يَضْحَكُ قَائِلًا: «لَمْ يَصْطُطْ تِلْكَ الْبَطَّاتِ هَذِهِ الْمَرَّةَ.»

الفصل السابع والعشرون

الصَّيَّادُ يَسْتَسْلِمُ

كَانَ الْغُرَابُ بِلَاكِي فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ. فَلَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ إِقْنَاعَ نَفْسِهِ بِأَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون تَحَوَّلَ إِلَى صَيَّادٍ، وَلَكِنْ مَاذَا كَانَ عَسَاهُ أَنْ يُصَدِّقَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ أَلَمْ يَرَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون بِأَمٍّ عَيْنِهِ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيْبَةَ وَيَخْتَبِئُ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَّارِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ مُنْتَظِرًا وُصُولَ داسكي وَسِرْبِهِ؟ أَلَمْ يَسْمَعْ بِأُذُنَيْهِ صَوْتَ إِطْلَاقِ النَّارِ مِنْ هَذِهِ الْبُنْدُقِيَّةِ؟

كَانَ أَوَّلُ مَا فَعَلَهُ بِلَاكِي صَبَاحَ الْيَوْمِ التَّالِيِ هُوَ الذَّهَابُ مُسْرِعًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَخْتَبِئُ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بَيْنَ النَّبَاتَاتِ. وَبِنَظَرِهِ الْحَادِّ بَحَثَ عَنِ الرَّيْشِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَقْتَلِ الْبَطِّ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ رَيْشًا. لَمْ يَجِدْ أَيَّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى حَدُوثِ مِثْلِ ذَلِكَ الْأَمْرِ الْمُخِيفِ. رُبَّمَا لَمْ يُصِبِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون هَدَفَهُ عِنْدَمَا أَطْلَقَ النَّيْرَانَ عَلَى الْبَطِّ. هَزَّ بِلَاكِي رَأْسَهُ وَقَرَّرَ أَلَّا يُخْبِرَ أَحَدًا عَنِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون وَتِلْكَ الْبُنْدُقِيَّةِ الرَّهِيْبَةِ.

طَبْعًا جَاءَ بِلَاكِي مُبَكِّرًا عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَاسْتَقَرَّ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَتِهِ الْمُفْضَلَةِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَخَابَ أَمْلُهُ — مِثْلَمَا حَدَثَ عَصَرَ الْيَوْمِ السَّابِقِ — عِنْدَمَا رَأَى ابْنَ الْمُزَارِعِ براون يَمْشِي حَامِلًا بُنْدُقِيَّتَهُ الرَّهِيْبَةَ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضِرَاءِ مُتَوَجِّهًا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ. وَعَوِضًا عَنِ الذَّهَابِ إِلَى الْمُخْبَأِ نَفْسِهِ، بَنَى مَخْبَأً جَدِيدًا بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ.

ثُمَّ جَاءَ الصَّيَّادُ مُبَكِّرًا قَلِيلًا عَنِ الْمُعْتَادِ، وَعَوِضًا عَنِ التَّوَقُّفِ عِنْدَ مَخْبِئِهِ، وَاصَلَ الْمَشْيَ مُبَاشَرَةً نَحْوَ الْمُخْبَأِ الَّذِي بَنَاهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَطَبْعًا لَمْ يَجِدْ أَحَدًا هُنَاكَ. بَدَأَ الصَّيَّادُ مَسْرُورًا وَمُحْبَطًا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى مَخْبِئِهِ وَجَلَسَ. وَبَيْنَمَا كَانَ

يَرْقُبُ قُدُومَ الْبُطِّ، أَخَذَ يُرَاقِبُ الْمَخْبَأَ الْآخَرَ أَيْضًا لِيَرَى مَا إِذَا كَانَ صَيَّادُ اللَّيْلَةِ الْبَارِحَةِ الْمَجْهُولُ سَيَظْهَرُ مَرَّةً أُخْرَى. بِالطَّبْعِ لَمْ يَظْهَرْ، وَعِنْدَمَا رَأَى الصَّيَّادُ الْبُطَّ قَادِمًا أَخِيرًا، كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ سَيَصْطَادُ بَعْضًا مِنْهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ.

لَكِنْ حَدَّثَ نَفْسَ مَا حَدَّثَ اللَّيْلَةُ السَّابِقَةَ؛ بِمُجَرَّدِ أَنَّ أَصْبَحَ الْبُطَّ قَرِيبًا بِمَا يَكْفِي، دَوَّى صَوْتُ إِطْلَاقِ نِيرَانٍ، فَطَارَ الْبُطُّ مُبْتَعِدًا. لَمْ يَعُدِ الْبُطُّ مَرَّةً أُخْرَى، وَعَادَ الصَّيَّادُ حَائِبًا إِلَى مَنْزِلِهِ مَرَّةً أُخْرَى دُونَ اضْطِيَادِ أَيِّ بَطَّاتٍ.

وَعَصَرَ الْيَوْمَ التَّالِي، جَاءَ الصَّيَّادُ مُبْكَرًا لِلْغَايَةِ. وَصَلَ الصَّيَّادُ قَبْلَ وُصُولِ ابْنِ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ، وَعِنْدَمَا أَتَى ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ، رَأَاهُ الصَّيَّادُ طَبْعًا، فَمَشَى الصَّيَّادُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَبِئُ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ بَيْنَ النَّبَاتَاتِ وَقَالَ: «مَرْحَبًا! هَلْ أَنْتَ الشَّخْصُ الَّذِي كَانَ يُطْلِقُ النَّارَ هُنَا اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ وَاللَّيْلَةَ الَّتِي سَبَقَتْهَا؟» ابْتَسَمَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ ابْتِسَامَةً عَرِيضَةً وَقَالَ: «نَعَمْ».

سَأَلَ الصَّيَّادُ: «وَكَيْفَ كَانَ حَظُّكَ؟»

فَرَدَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ: «حَسَنًا».

فَسَأَلَهُ الصَّيَّادُ: «كَمْ اصْطَدَّتْ مِنَ الْبُطِّ؟»

ازْدَادَتْ ابْتِسَامَةُ ابْنِ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ اتِّسَاعًا وَرَدَّ قَائِلًا: «لَمْ أَصْطَدْ أَيَّ بَطَّاتٍ. أَعْتَقِدُ أَنَّي لَا أَجِيدُ التَّصْوِيبَ».

فَتَسَاءَلَ الصَّيَّادُ: «مَاذَا تَعْنِي إِذَنْ بِقَوْلِكَ إِنَّ حَظَّكَ كَانَ حَسَنًا؟»

أَجَابَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ: «أُوهُ! كُنْتُ مَحْظُوظًا لِرُؤْيَايَ هَذَا السَّرْبَ مِنَ الْبُطِّ وَاسْتَمْتَعْتُ بِإِطْلَاقِ النَّارِ عَلَيْهِ» ثُمَّ ابْتَسَمَ مَرَّةً أُخْرَى.

نَفَدَ صَبْرُ الصَّيَّادِ وَحَاوَلَ أَنْ يَأْمُرَ ابْنَ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ بِالِابْتِعَادِ عَنِ الْمَكَانِ، وَلَكِنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ رَدَّ بِأَنَّ لَهُ الْحَقَّ فِي التَّوَاجُدِ هُنَاكَ كَمَا يَحِقُّ لِلصَّيَّادِ، وَكَانَ الصَّيَّادُ يَعْلَمُ ذَلِكَ. وَأَخِيرًا، اسْتَسْلَمَ وَعَادَ إِلَى مَخْبِئِهِ مُتَمَتِّمًا فِي غَضَبٍ. وَمَرَّةً أُخْرَى فَرَعَ الْبُطُّ عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْ جَرَاءِ دَوِيِّ بُنْدُقِيَّةِ ابْنِ الْمُزَارِعِ بَرَاونَ، وَوَلَّى مُبْتَعِدًا.

الصَّيَّادُ يَسْتَسْلِمُ

عَصَرَ الْيَوْمِ التَّالِي، لَمْ يَأْتِ الصَّيَّادُ — وَإِنْ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ بَرَاوَن قَدْ أَتَى — وَكَذَلِكَ
لَمْ يَأْتِ الْيَوْمِ التَّالِي؛ فَقَدْ عَلِمَ الصَّيَّادُ أَنَّ الصَّيْدَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فِي وُجُودِ ابْنِ الْمُزَارِعِ
بَرَاوَن مَضِيْعَةٌ لِلْوَقْتِ.

الفصل الثامن والعشرون

بلاكي يتحاور مع داسكي

لَا تَشْكُ فِي صَدِيقٍ، وَلَكِنْ حَتَّى النِّهَايَةِ
تَمَسَّكَ بِثِقَتِكَ فِيهِ، وَاحْفَظْهَا بِعِنَايَةٍ.

الغُرَابُ بلاكي

كُلَّ صَبَاحٍ، كَانَ الْغُرَابُ بِلَاكِي يَذُورُ مَنَاطِقَ النَّبَاتَاتِ النَّامِيَةِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ، أَمَلًا فِي أَنْ يَجِدَ دَاسَكِي. كَانَ بِلَاكِي قَلِقًا؛ إِذْ كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ دَاسَكِي أَوْ أَحَدُ أَفْرَادِ سِرْبِهِ قَدْ قُتِلَ، وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ. فَكَمَا تَعَلَّمُونَ، كَانَ بِلَاكِي يَعْرِفُ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ أَطْلَقَ النَّيْرَانَ فِي تِلْكَ الْمَنَاطِقَةِ. وَأَخِيرًا، فِي وَقْتِ مُبَكَّرٍ مِنْ صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ، وَجَدَ دَاسَكِي وَسِرْبَهُ بَيْنَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ وَالْأُرْزِ الْبَرِّيِّ، فَأَحْصَى عَدَدَهُمْ بِلَهْفَةٍ. كَانُوا تِسْعَةً؛ أَيْ إِنَّهُمْ لَمْ يَنْقُصُوا أَحَدًا. تَنَهَّدَ بِلَاكِي بِارْتِيَاحٍ وَهَبَطَ عَلَى الشَّاطِئِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ دَاسَكِي غَافِيًا فِيهِ.

قَالَ بِلَاكِي: «مَرْحَبًا!»

أَفَاقَ دَاسَكِي مَذْعُورًا: «مَرْحَبًا بِكَ!»

قَالَ بِلَاكِي: «لَقَدْ سَمِعْتُ دَوِيَّ بُنْدُقِيَّةٍ رَهِيْبَةٍ هُنَا، وَخِفْتُ أَنْ تَكُونَ قَدْ أُصِيبَتْ أَنْتَ أَوْ أَحَدُ أَفْرَادِ سِرْبِكَ.»

فَرَدَّ دَاسَكِي: «إِنَّنَا لَمْ نَفْقِدْ حَتَّى رِيْشَةً وَاحِدَةً. وَعَلَى آيَةٍ حَالٍ، هَذِهِ الْبُنْدُقِيَّةُ لَمْ تَكُنْ مُصَوَّبَةً نَحُونًا.»

سَأَلَهُ بِلَاكِي: «إِلَى مَنْ كَانَتْ مُصَوَّبَةً إِذَنْ؟»

فَأَجَابَ داسكي: «لَيْسَ لَدَيَّ أَدْنَى فِكْرَةٍ»
تَسَاءَلَ بِلَاكِي: «هَلْ رَأَيْتَ أَيَّ بَطٍّ آخَرَ فِي الْجَوَارِ؟»
فَرَدَّ داسكي سَرِيعًا: «مُطْلَقًا. إِذَا كَانَ ثَمَّةُ بَطٍّ آخَرُ هُنَا، كُنَّا سَنَعْرِفُ»
فَسَأَلَهُ بِلَاكِي: «هَلْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَمَا أُطْلِقَتْ نِزَارُنْ هَذِهِ الْبُنْدُوقِيَّةُ الرَّهِيْبَةُ كَانَتْ
تُوجَدُ بُنْدُوقِيَّةٌ رَهِيْبَةٌ أُخْرَى خَلْفَ هَذِهِ الشُّجَيْرَاتِ مُبَاشَرَةً؟»
هَزَّ داسكي رَأْسَهُ نَافِيًا وَقَالَ: «لَا، وَلَكِنِّي تَعْلَمْتُ مُنْذُ زَمَنٍ أَنَّهُ أَيْنَمَا تُوْجَدُ بُنْدُوقِيَّةٌ
رَهِيْبَةٌ، فَعَلَى الْأَغْلَبِ سَيَكُونُ ثَمَّةُ بَنَادِقٍ أُخْرَى؛ وَلِذَا فَإِنَّنِي عِنْدَمَا سَمِعْتُ دَوِيَّ تِلْكَ
الْبُنْدُوقِيَّةِ، قُدْتُ سِرْبِي بَعِيدًا عَنِ هَذَا الْمَكَانِ بِسُرْعَةٍ. فَلَمْ نَزْعُبْ فِي الْمُخَاطَرَةِ»
رَدَّ بِلَاكِي قَائِلًا: «مِنْ حُسْنِ الْحِظِّ أَنَّكَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ كَانَ ثَمَّةُ صَيَّادٍ يَخْتَبِئُ خَلْفَ
هَذِهِ الشُّجَيْرَاتِ طَوَالَ الْوَقْتِ. لَقَدْ حَذَرْتُكَ مِنْهُ مَرَّةً»
قَالَ داسكي: «هَذَا يُذَكِّرُنِي بِأَنِّي لَمْ أَشْكُرْكَ. كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ شَيْئًا مَا لَيْسَ عَلَى مَا
يُرَامُ، وَلَكِنِّي لَمْ أَعْرِفْ مَا هُوَ؛ إِذَنْ، كَانَ صَيَّادًا. أَظُنُّنِي أَحْسَنْتُ إِذْ انْتَبَهْتُ لِتَحْذِيرِكَ»
فَرَدَّ بِلَاكِي بِبَرَّةٍ جَافَةٍ: «أَظُنُّ ذَلِكَ. هَلْ صِرْتَ تَأْتِي إِلَى هُنَا فِي النَّهَارِ عَوَضًا عَنِ
الْمَجِيءِ لِيَلَا؟»
رَدَّ داسكي: «لَا، إِنَّنَا نَأْتِي بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ وَنَقْضِي اللَّيْلَ هُنَا، فَنَحْنُ لَا نَخَافُ
الصَّيَّادِينَ بَعْدَ حُلُولِ الظَّلَامِ. وَصِرْنَا لَا نَأْتِي إِلَى هُنَا حَتَّى وَقْتُ مُتَأَخِّرٍ مِنَ الْمَسَاءِ.
وَمُنْذُذٍ لَمْ نَسْمَعْ صَوْتَ أَيِّ بُنْدُوقِيَّةٍ»
ظَلَّ بِلَاكِي يَتَجَادَبُ مَعَهُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ قَلِيلًا، ثُمَّ طَارَ لِلْبَحْثِ عَنِ طَعَامِ الْإِفْطَارِ،
وَأَثْنَاءَ طَيْرَانِهِ شَعَرَ بِالْبَهْجَةِ تَعْمُرُهُ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ الصَّغِيرَتَانِ الْفَطِنَتَانِ.
وَفَكَّرَ قَائِلًا: «مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ تَمْنَعَنِي مَعْرِفَتِي الْجَيِّدَةَ بِابْنِ الْمُزَارِعِ بَرَاوَنٍ مِنْ
مُجَرِّدِ الشَّكِّ فِيهِ. أَعْرِفُ الْآنَ لِمَاذَا كَانَ يَحْمِلُ تِلْكَ الْبُنْدُوقِيَّةَ الرَّهِيْبَةَ. كَانَتْ مِنْ أَجْلِ إِخَافَةِ
هَذَا السَّرْبِ مِنَ الْبَطِّ حَتَّى يَبْتَغِدَ وَلَا يَحْظَى الصَّيَّادُ بِفُرْصَةِ اصْطِيَادِ أَيِّ مِنْهُ. لَمْ يَكُنْ
يُصَوِّبُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ. كَانَ يُطْلِقُ النَّارَ فِي الْهَوَاءِ فَقَطْ مِنْ أَجْلِ إِبْعَادِ الْبَطِّ. أَعْرِفُ ذَلِكَ
تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ كَمَا لَوْ كُنْتُ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُهُ. لَنْ أَشْكُ فِي ابْنِ الْمُزَارِعِ بَرَاوَنٍ ثَانِيَةً. وَأَنَا مَسْرُورٌ
لَأَنِّي لَمْ أَقُلْ لِأَحَدٍ شَيْئًا عَنْ رُؤْيَايَ لَهُ حَامِلًا بُنْدُوقِيَّةَ الرَّهِيْبَةَ»

بلاكي يَتَحَاوِرُ مَعَ داسكي

كَانَ بِلَاكِي مُحِقًّا؛ فَقَدْ فَعَلَ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَنَ ذَلِكَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ الصِّيَادَ —
الَّذِي اسْتَدْرَجَ الْبَطَّ أَوَّلًا بِالذُّرَّةِ الصَّفْرَاءِ الْمُنْثُورَةِ وَسَطَ نَبَاتَاتِ السَّمَارِ أَمَامَ مَخْبِئِهِ —
لَنْ تَتَوَفَّرَ لَهُ فُرْصَةٌ قَتْلِ أَيِّ مِنْهُمْ. وَفِي حِينٍ أَنَّهُ بَدَأَ عَدُوًّا، كَانَ فِي الْوَاقِعِ صَدِيقًا لِدَاسَكِي
وَسِرِّيهِ.

الفصل التاسع والعشرون

بلاكي يجد بيضة

إِنَّ بِلَاكِي مَوْلَعٌ بِالْبَيْضِ كَمَا تَعْلَمُونَ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ يُشَبِّهِ غَيْرَهُ مِنَ الْأَشْخَاصِ — مِثْلُ ابْنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن — إِلَى حَدِّ كَبِيرٍ. وَلَكِنْ بِمَا أَنَّ بِلَاكِي لَا يَسْتَطِيعُ تَرْبِيَةَ الدَّجَاجِ — كَمَا يَفْعَلُ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن — فَإِنَّهُ مُجْبَرٌ عَلَى سَرِقَةِ الْبَيْضِ أَوْ الْعَيْشِ دُونَهُ. وَإِذَا أَرَدَتْ الْحَقِيقَةُ الْوَاضِحَةَ، أَعْتَقِدُ أَنَّ بِلَاكِي لَيْسَ مُخْطِئًا كَثِيرًا عِنْدَمَا يُصِرُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ لِصًّا، مِثْلَمَا أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن لَيْسَ لِصًّا. فَبِلَاكِي يَقُولُ إِنَّ الْبَيْضَ الَّذِي تَبْيِضُهُ الدَّجَاجَاتُ يَخْصُ الدَّجَاجَاتِ، وَإِنَّهُ هُوَ — بِلَاكِي — لَهُ نَفْسُ الْحَقِّ فِي أَخْذِ الْبَيْضِ كَابْنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن. وَلَكِنَّهُ يَغْفُلُ تَمَامًا عَنْ حَقِيقَةِ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن يُطْعِمُ الدَّجَاجَ وَيَأْخُذُ الْبَيْضَ فِي الْمَقَابِلِ. وَعَلَى آيَةٍ حَالٍ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ مَا يَقُولُهُ ابْنُ الْمَزَارِعِ بَرَاوَن، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا إِذَا كَانَتِ الدَّجَاجَاتُ تَرَى الْأَمْرَ عَلَى هَذَا النُّحُوِّ أَمْ لَا.

لِذَلِكَ لَا يَفْهَمُ الْغُرَابُ بِلَاكِي لِمَاذَا يَنْبَغِي لَهُ أَلَّا يَسْرِقَ بَيْضَةً عِنْدَمَا تَتَّاحُ لَهُ الْفُرْصَةُ. فَهُوَ لَا يَحْطَى بِفُرْصِ كَثِيرَةٍ لِسَرِقَةِ الْبَيْضِ مِنَ الدَّجَاجَاتِ؛ لِأَنَّهَا تَضَعُ بَيْضَهَا عَادَةً فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ. وَبِلَاكِي يَمْنَعُهُ حَذَرُهُ مِنَ الْمُخَاطَرَةِ بِالدُّخُولِ إِلَى الْحَظِيرَةِ. فَالْبَيْضُ الَّذِي يَحْصُلُ عَلَيْهِ غَالِبًا مَا يَكُونُ بَيْضَ جِيرَانِهِ فِي الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ أَوْ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ. وَلَكِنْ فِي بَعْضِ أَحْيَانٍ نَادِرَةٍ تَبْنِي بَعْضُ الدَّجَاجَاتِ الْحَمَقَاءِ عُشًّا خَارِجَ الْحَظِيرَةِ، وَإِذَا صَادَفَ أَنَّ رَأَاهَا بِلَاكِي، فَإِنَّ ذَلِكَ الْوَعْدَ الْأَسْوَدَ يَظَلُّ يَتَرَقَّبُ — فِي كُلِّ لَحْظَةٍ لَا يَنْشَغِلُ فِيهَا بِحِيلَةٍ أُخْرَى — فُرْصَةً لِسَرِقَةِ بَيْضَةٍ.

يَعْلَمُ بِلَاكِي أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ براون يَرَاهُ وَغَدًا؛ وَلِهَذَا فَإِنَّ بِلَاكِي يَحْذَرُ الْإِقْتِرَابَ مِنَ الْمَزَارِعِ براون أَوْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُطْلِقَ عَلَيْهِ النَّارَ. فَبِلَاكِي يَعْرِفُ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ شَكْلَ الْبُنْدُوقِيَّةِ. وَيَعْرِفُ أَيْضًا أَنَّهُ دُونَ الْبُنْدُوقِيَّةِ الرَّهْيِيَّةِ، لَا يُوْجَدُ الْكَثِيرُ مِمَّا يُمْكِنُ لِلْمَزَارِعِ براون أَوْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِهِ؛ لِذَا فَإِنَّهُ عِنْدَمَا يَرَى الْمَزَارِعَ براون وَسَطَ حُقُولِهِ، كَثِيرًا مَا يَطِيرُ فَوْقَهُ وَيَصِيحُ: «كَأُو كَاوُ كَاوُ!» بِأَكْثَرِ طَرِيقَةٍ مُسْتَفْزَةٍ، وَيُصِرُّ ابْنُ الْمَزَارِعِ براون عَلَى أَنَّهُ رَأَى بِلَاكِي يَغْمُرُ بَعَيْنَهُ حِينَهَا.

وَلَكِنَّ بِلَاكِي لَا يَفْعَلُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَبَانِي الْمَزَارِعِ براون؛ فَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّ الْمَبَانِي بِهَا أَبْوَابٌ وَنَوَافِدُ، وَيُمْكِنُ إِطْلَاقُ بُنْدُوقِيَّةٍ رَهْيِيَّةٍ مِنْ أَحَدِهَا فِي أَيِّ لَحْظَةٍ. وَرَعْمَ أَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ براون لَنْ يُحَاوِلَ إِيْذَاءَهُ، فَإِنَّ بِلَاكِي حَذَرَ بِطَبْعِهِ وَلَا يَمِيلُ إِلَى الْمَخَاطَرَةِ؛ لِذَا فَإِنَّهُ عِنْدَمَا يَأْتِي لِلتَّجَسُّسِ حَوْلَ مَنْزِلِ الْمَزَارِعِ براون وَمَخْزَنِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ مُتَأَكَّدًا تَمَامًا مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ، وَيَفْعَلُ ذَلِكَ بِكُلِّ هُدُوءٍ. أَوَّلًا يَجْلِسُ عَلَى شَجَرَةٍ طَوِيلَةٍ يُمْكِنُهُ مَرَاقَبَةُ مَنْزِلِ الْمَزَارِعِ براون مِنْهَا، وَعِنْدَمَا يَتَأَكَّدُ تَمَامًا مِنْ خُلُوفِ الطَّرِيقِ، يَطِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ هُنَاكَ يَفْحَصُ مَخْزَنَ الْحُبُوبِ، دُونَ أَنْ يُصْدِرَ أَيَّ صَوْتٍ. وَإِذَا تَأَكَّدَ مِنْ خُلُوفِ الْمَكَانِ، يَنْزِلُ أحيانًا فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ لِيَتَنَاوَلَ الذُّرَّةَ، إِذَا صَادَفَ أَنْ وَجَدَ أَيًّا مِنْهَا هُنَاكَ.

وَفِي إِحْدَى تِلْكَ الزِّيَارَاتِ الصَّامِتَةِ، اكْتَشَفَ بِلَاكِي شَيْئًا لَمْ يَسْتَطِعْ نَسْيَانَهُ. كَانَ صُنْدُوقًا دَاخِلَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ بِجَوَارِ الْبَابِ. وَكَانَ فِي الصُّنْدُوقِ بَعْضُ الْقَشِّ، وَوَسَطَ هَذَا الْقَشِّ كَانَ بِلَاكِي مُتَأَكَّدًا مِنْ أَنَّهُ رَأَى بَيْضَةً. فِي الْحَقِيقَةِ، كَانَ مُتَأَكَّدًا مِنْ أَنَّهُ رَأَى بَيْضَتَيْنِ هُنَاكَ. رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ لِيَلَاحِظَهُمَا لَوْلَا أَنَّ دَجَاجَةً قَفَزَتْ مِنْ دَاخِلِ الصُّنْدُوقِ مُصْدِرَةً ضَجِيجًا عَالِيًّا. لَمْ تَبْدُ خَائِفَةً، وَإِنَّمَا بَدَتْ فَخُورَةً لِلْغَايَةِ. لَمْ يَسْتَطِعْ بِلَاكِي أَنْ يَفْهَمَ مَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ تَفْخَرَ بِهِ هَكَذَا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَظِرْ حَتَّى يَعْرِفَ؛ فَقَدْ أَصَابَتْهُ الصُّوْضَاءُ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا بِالتَّوَتُّرِ. كَانَ يَخْشَى أَنْ تَأْتِيَ تِلْكَ الصُّوْضَاءُ بِأَحَدٍ لِيَعْرِفَ مَا الْأَمْرُ؛ لِذَا بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْأَسْوَدَيْنِ وَطَارَ بَعِيدًا بِهُدُوءٍ كَمَا جَاءَ بِهُدُوءٍ.

وَبَيْنَمَا كَانَ يَطِيرُ، رَأَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، فَحِينَمَا كَانَ يَرْتَفِعُ فِي الْهَوَاءِ، اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُرَّ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ بِطَرِيقَةٍ مَكْنُوتَةٍ مِنْ إِلْقَاءِ نَظَرَةٍ خَاطِفَةٍ دَاخِلَ الصُّنْدُوقِ،

بلاكي يَجِدُ بَيْضَةً

وَكَانَتْ هَذِهِ النَّظْرَةُ الْخَاطِفَةُ كَافِيَةً. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، إِنَّ عَيْنَيَّ بِلَاكِي ثَاقِبَتَانِ. فَقَدْ رَأَى الْقَشَّ فِي الصُّنْدُوقِ وَرَأَى الْبَيْضَتَيْنِ وَسَطَ الْقَشِّ، وَكَانَ هَذَا كَافِيًا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ. وَمُنْذُ هَذِهِ اللَّحْظَةِ بَدَأَ الْغُرَابُ بِلَاكِي فِي التَّدْبِيرِ وَالتَّخْطِيطِ لِلْحُصُولِ عَلَى بَيْضَةٍ مِنْهُمَا أَوْ الْإِثْنَتَيْنِ مَعًا. وَبَدَأَ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَرْغَبْ فِي شَيْءٍ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ رَغْبَتِهِ فِي هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ، وَكَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ — وَلَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَكُونَ — سَعِيدًا حَتَّى يَنْجَحَ فِي الْحُصُولِ عَلَى وَاحِدَةٍ.

الفصل الثلاثون

بلاكي يَسْتَجْمِعُ شَجَاعَتَهُ

«الْبَعِيدُ عَنِ الْعَيْنِ بَعِيدٌ عَنِ الْقَلْبِ». هَذَا قَوْلٌ تَسَمَّعُهُ كَثِيرًا. رُبَّمَا يَكُونُ سَلِيمًا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَلَكِنْ فِي أَحْيَانٍ أُخْرَى يَصِيرُ أَبْعَدَ مَا يَكُونُ عَنِ الْحَقِيقَةِ، كَمَا فِي حَالَةِ بَلَائِي؛ فَقَدْ أَلْقَى نَظْرَةً وَاحِدَةً خَاطِفَةً عَلَى ذَلِكَ الْعُشِّ بِجَوَارِ الْبَابِ فِي حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمُرَارِعِ بَرَاوِنَ، وَلَكِنَّ تِلْكَ النَّظْرَةَ الْخَاطِفَةَ كَانَتْ كَافِيَةً لِيَرَى أَنَّهُ تَمَّةٌ بَيْنَضَتَانِ فِي الْعُشِّ. ثُمَّ عِنْدَمَا طَارَ نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ، كَانَتْ هَاتَانِ الْبَيْنَضَتَانِ بَعِيدَتَيْنِ عَنْ نَظَرِهِ بِالطَّبْعِ، وَلَكِنْ هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّهُمَا كَانَتَا بَعِيدَتَيْنِ عَنْ فِكْرِهِ؟ لَيْسَ كَثِيرًا! بَلْ أَبَدًا! فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَاتَيْنِ الْبَيْنَضَتَيْنِ كَانَتَا تُلْحَاظَانِ عَلَى فِكْرِ بَلَائِي. وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُفَكِّرَ فِي أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. فَطَارَ مُبَاشَرَةً إِلَى شَجَرَةِ صَنْوَبِرٍ عَالِيَةٍ فِي مَكَانٍ مُنْعَزِلٍ مِنَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ. فَحِينَئِذَا يَرْغَبُ بَلَائِي فِي التَّفَكُّيرِ أَوْ تَدْبِيرِ حِيلَةٍ، يَذْهَبُ إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ دُونَ غَيْرِهَا، وَيَتَوَارَى بَيْنَ فُرُوعِهَا الْكَبِيرَةِ عَنِ الْعُيُونِ الْفُضُولِيَّةِ، وَيَجْلِسُ فِيهَا بِلَا حَرَكَ تَقْرِيْبًا.

تَمَّتْ بَلَائِي قَائِلًا: «أُرِيدُ وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْبَيْنَضَتَيْنِ». بَيْنَمَا كَانَ يَعْتَدِلُ فِي جِلْسَتِهِ عَلَى جُزْءٍ مُعَيَّنٍ عَلَى فَرْعٍ بَعِيْنِهِ مِنْ شَجَرَةِ الصَّنَوْبِرِ الْعَالِيَةِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ يُمَكِّنُ تَسْمِيَةَ هَذَا الْفَرْعِ بِاسْمِ «فَرْعِ الْحَيْلِ»؛ فَقَدْ فَكَّرَ بَلَائِي فِي حِيلِهِ الشَّهِيرَةِ جَمِيعًا وَدَبَّرَهَا عَلَى فَرْعِ الشَّجَرَةِ ذَلِكَ. وَوَاصِلَ حَدِيثِهِ قَائِلًا: «أَجَلْ، أُرِيدُ وَاحِدَةً مِنْ هَاتَيْنِ الْبَيْنَضَتَيْنِ، وَالْأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ أَنِّي سَوْفَ أَحْصُلُ عَلَيْهَا».

وَضَبَقَ عَيْنَيْهِ وَدَفَعَ رَأْسَهُ لِلْخَلْفِ وَابْتَلَعَ رِيْقَهُ بِضِعِّ مَرَّاتٍ، كَمَا لَوْ كَانَ قَدْ تَذَوَّقَ وَاحِدَةً مِنْهُمَا بِالْفِعْلِ.

«إِنَّ الْبَيْضَةَ الْوَاحِدَةَ مِنْ تِلْكَ تُسَاوِي عُشًّا مَلِيئًا بِبَيْضِ عُصْفُورِ أَبِي الْحِنَاءِ الْوُدُودِ. لَمْ يُحَالِفْنِي الْحَظُّ بِتَدْوُقِ بَيْضَةِ دَجَاجَةٍ مُنْذُ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، وَهَذِهِ هِيَ فُرْصَتِي. أَنَا لَا أُحِبُّ دُخُولَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ تِلْكَ، رَغْمَ أَنَّ الْعُشَّ بِجَوَارِ الْبَابِ مُبَاشَرَةً. فَلَالْبُؤَابُ تُثِيرُ رِيْبَتِي؛ إِذْ إِنَّهَا كَثِيرًا مَا تَنْغَلِقُ فَجَاءَةً. رَبُّمَا أَحَاوِلُ أَنْ أَجْعَلَ الْعَمَّ بَيْلِي الْأَبُوسُومَ يُخْرِجُ لِي إِحْدَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الْخُطَّةُ لَنْ تَنْجَحَ عِنْدَمَا تُمْعِنُ التَّفَكِيرَ فِيهَا، فَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَّقَ فِي الْعَمِّ بَيْلِي. فَالْوَعْدُ الْعَجُوزُ مُوَلَّعٌ بِالْبَيْضِ أَيْضًا. رَبُّمَا أَكُونُ مُسْتَعِدًّا لِمُشَاطَرَتِهَا مَعَهُ، وَلَكِنَّهُ سَيَتَنَاوَلُ نَصِيبَهُ أَوَّلًا، وَأَخْشَى أَنْ يَجِدَ طَعْمَهَا لَذِيذًا إِلَى حَدٍّ يَجْعَلُهُ يَأْكُلُ النُّصْفَ الْآخَرَ. لَا، عَلَيَّ أَنْ أَحْصِلَ عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الْبَيْضَتَيْنِ بِنَفْسِي. إِنَّهَا الطَّرِيقَةُ الْوَحِيدَةُ الْآكِدَةُ لِأَنْ أَحْصِلَ عَلَيْهَا.»

«عَلَيَّ أَنْ أَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ ابْنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنِ أَوْ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنِ نَفْسِهِ فِي الْجَوَارِ. مِنَ الْمُفْتَرَضِ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى حَقْلِ الذُّرَّةِ عَمَّا قَرِيبٍ. وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ، مَا عَلَيَّ سِوَى أَنْ أَتَحَيَّنَ الْفُرْصَةَ وَأَتَسَلَّلَ إِلَى دَاخِلِ الْحَظِيرَةِ. لَنْ يَسْتَغْرِقَ الْأَمْرُ أَكْثَرَ مِنْ ثَانِيَةٍ. فَلَتَنَتَحَلَّ بِقَلِيلٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ يَا بِلَاكِي، قَلِيلٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ فَحَسْبُ! فَلَا يُمْكِنُ الْحُصُولُ عَلَى شَيْءٍ ذِي قِيَمَةٍ فِي هَذَا الْعَالَمِ دُونَ بَعْضِ الْمَخَاطَرَةِ. أَمَّا مَا يَجِبُ فِعْلُهُ فَهُوَ التَّأَكُّدُ مِنْ تَقْلِيلِ نِسْبَةِ الْمَخَاطَرَةِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ.»

فَرَدَّ بِلَاكِي جَنَاحِيَهُ وَطَارَ مِنْ عَلَى شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ الْعَالِيَةِ بِهُدُوءٍ كَمَا هَبَطَ عَلَيْهَا بِهُدُوءٍ، وَتَوَجَّهَ مُبَاشَرَةً إِلَى حَقْلِ الذُّرَّةِ الْخَاصِّ بِالْمَزَارِعِ بَرَاوِنِ. وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ بِمَا يَكْفِي لِرُؤْيَةِ الْحَقْلِ بِأَكْمَلِهِ، نَزَلَ لِيَقِفَ عَلَى عَمُودِ سِيَاحٍ، وَانْتَظَرَ هُنَاكَ. لَمْ يَنْتَظِرْ بِلَاكِي طَوِيلًا؛ فَفِي الْوَاقِعِ، لَمْ تَمْضِ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى لَمَحَ شَخْصَيْنِ قَادِمَيْنِ عَلَى الطَّرِيقِ الطَّوِيلِ فِي اتِّجَاهِ حَقْلِ الذُّرَّةِ. نَظَرَ إِلَيْهِمَا بِتَمَعْنٍ وَتَنَهَّدَ بِرِضًا. كَانَا هُمَا الْمَزَارِعَ بَرَاوِنِ وَابْنَهُ. وَسُرْعَانَ مَا وَصَلَا إِلَى حَقْلِ الذُّرَّةِ وَدَخَلَاهُ. ثُمَّ بَدَأَ الْعَمَلَ، وَعَلِمَ بِلَاكِي أَنَّهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا، فَإِنَّ طَرِيقَهُ نَحْوَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ خَالٍ.

لَمْ يَطِرْ بِلَاكِي إِلَى الْحَظِيرَةِ مُبَاشَرَةً! لَا، فَهُوَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ. فَقَدْ طَارَ نَحْوَ الْغَابَةِ الْخَضِرَاءِ. وَعِنْدَمَا عَلِمَ أَنَّهُ بَعِيدٌ عَنْ أَنْظَارِ مَنْ بِحَقْلِ الذُّرَّةِ، اسْتَدَارَ وَطَارَ نَحْوَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ أَعْلَى إِحْدَى أَشْجَارِ النَّفَّاحِ الْمُعَمَّرَةِ، رَاحَ يُرَاقِبُ حَظِيرَةَ الدَّجَاجِ وَالْفَنَاءَ

وَمَنْزِلَ الْمَزَارِعِ براون وَمَخَزَنَ الْحُبُوبِ مُتَمَعِّنًا؛ لِكَيْ يَتَأَكَّدَ تَمَامًا مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَيِّ
 حَظَرٍ فِي الْجَوَارِ. وَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ تَمَامًا، طَارَ بِهْدُوءٍ شَدِيدٍ إِلَى حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ كَمَا فَعَلَ
 مَرَّاتٍ عَدِيدَةً مِنْ قَبْلُ. وَتَظَاهَرَ بِأَنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ حُبُوبِ ذُرَّةٍ مَنْثُورَةٍ، وَلَكِنَّهُ طَوَالَ الْوَقْتِ
 كَانَ يَقْتَرِبُ شَيْئًا فَشَيْئًا مِنْ بَابِ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ الْمَفْتُوحِ. وَأَخِيرًا، اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى
 الصُّنْدُوقَ ذَا الْقَشِّ. مَشَى نَحْوَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ مُبَاشَرَةً وَنَظَرَ إِلَى الدَّاخِلِ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا
 جَدِيرًا بِالْخَوْفِ. رَغَمَ ذَلِكَ، كَانَ مُتَرَدِّدًا. كَانَ يَكْرَهُ الدُّخُولَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ وَلَوْ لِدَقِيقَةٍ،
 وَهَذَا هُوَ مَا سَيَسْتَغْرِقُهُ الطَّيْرَانُ إِلَى ذَلِكَ الْعُشِّ وَالْحُصُولِ عَلَى إِحْدَى الْبَيْضَتَيْنِ.
 أَغْمَضَ بِلَاكِي عَيْنَهُ لِثَانِيَةٍ، وَعِنْدَهَا بَدَأَ أَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ يَتَنَاوَلُ إِحْدَى الْبَيْضَتَيْنِ،
 وَتَمَنَّمَ لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ قَائِلًا: «مِمَّ تَخَافُ؟» ثُمَّ نَظَرَ سَرِيعًا فِي كُلِّ الْإِتِّجَاهَاتِ
 وَطَارَ إِلَى حَافَةِ الصُّنْدُوقِ. وَوَجَدَ هُنَاكَ الْبَيْضَتَيْنِ!

الفصل الحادي والثلاثون

بَيِّضَةُ سَيِّئَةِ السُّلُوكِ

إِذَا كَانَ لَدَيْكَ بَيِّضَةٌ سَيِّئُ سُلُوكُهَا،
فَمَاذَا عَسَاكَ أَنْ تَفْعَلَ بِهَا؟
فَإِقْنَاعُ بَيِّضَةٍ بِفِعْلٍ مَا لَا تُرِيدُ
يَبْدُو لِي صَعْبًا بِالتَّأْكِيدِ.

كُلُّ ذَلِكَ مَحْضُ هَرَاءٍ بِالطَّبْعِ. فَمَنْ سَمِعَ مِنْ قَبْلُ عَنْ بَيِّضَةٍ سُلُوكُهَا حَسَنٌ أَوْ سَيِّئٌ؟ لَا أَحَدٌ. حَسَنًا، لَا أَحَدٌ أَعْرِفُهُ إِلَّا بِلَاكِي. وَمِنْ الْأَفْضَلِ أَلَّا تَذْكُرَ الْبَيِّضَ فِي حُضُورِ بِلَاكِي هَذِهِ الْأَيَّامِ. فَهُوَ مَوْضُوعٌ مُحَرَّمٌ فِي حُضُورِهِ؛ فَبِلَاكِي عَادَةً مَا يَسْتَأْ قَلِيلًا بِمُجَرَّدِ ذِكْرِ الْبَيِّضِ. لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَلُومَهُ. كَيْفَ كُنْتُ سَتَشْعُرُ لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ أَمْرِ مَا، ثُمَّ اكْتَشَفْتَ أَنَّكَ لَا تَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا عَلَى الْإِطْلَاقِ؟ هَذَا هُوَ مَا حَدَثَ مَعَ الْغُرَابِ بِلَاكِي.

فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ لِبِلَاكِي إِنَّهُ لَا يَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْبَيِّضِ، لَضَحِكَ بِلَاكِي مِنْهُ؛ أَلَمْ يَخْرُجْ بِلَاكِي أَصْلًا مِنْ بَيِّضَةٍ؟ أَوَلَمْ يَكُنْ — مُنْذُ أَنْ كَبُرَ — يَصْطَادُ الْبَيِّضَ وَيَسْرِقُهُ وَيَأْكُلُهُ؟ فَإِذَا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ شَيْئًا عَنِ الْبَيِّضِ، فَمَنِ الَّذِي يَعْرِفُ؟ بِهِذِهِ الطَّرِيقَةِ كَانَ سَرِدُّ قَبْلُ أَنْ يَزُورَ حَظِيرَةَ دَجَاجِ الْمَزَارِعِ براون. وَمُنْذُ تِلْكَ الزِّيَارَةِ، أَصْبَحَ مِنْ غَيْرِ الْحِكْمَةِ أَنْ يَذْكُرَ الْبَيِّضَ أَمَامَهُ.

عِنْدَمَا رَأَى بِلَاكِي الْبَيِّضَتَيْنِ فِي الْعُشِّ الْمَوْجُودِ فِي حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمَزَارِعِ براون، لَكَمْ تَمَنَّى بِلَاكِي لَوْ يَسْتَطِيعُ أَخَذَ كِلْتَابَهُمَا. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ. كَانَ كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُ أَخْذَهُ هُوَ بَيِّضَةٌ وَاحِدَةٌ. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ وَيَذْهَبَ قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ؛ أَيُّهُمَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْخُذَ؟

كَثِيرًا مَا يَحْدُثُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَبْدُو غَيْرَ مُهِمَّةٍ — التَّافِهَةِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا — يَنْبُتُ أَنَّهَا عَكْسُ ذَلِكَ تَمَامًا؛ فَفِي رَأْيِي بِلَاكِي، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ فَرْقٍ بَيْنَ الْبَيْضَتَيْنِ، مَا عَدَا أَنَّ إِحْدَاهُمَا كَانَتْ أَكْبَرَ مِنَ الْأُخْرَى قَلِيلًا. وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَ الْفَرْقُ كَبِيرًا جِدًّا. فَإِحْدَاهُمَا كَانَتْ بُيَّةَ اللَّوْنِ تَسُرُّ النَّاطِرِينَ، وَالْأُخْرَى — الْأَكْبَرُ حَجْمًا — كَانَتْ بَيْضَاءَ تَسُرُّ النَّاطِرِينَ أَيْضًا. فِي الْوَاقِعِ، ظَنَّ بِلَاكِي أَنَّهَا أَجْمَلُ الْبَيْضَتَيْنِ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ نَاعِمَةً وَلَامِعَةً لِلْغَايَةِ. فَلِهَذَا السَّبَبِ — وَكَذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْبَرَ الْبَيْضَتَيْنِ — اخْتَارَ بِلَاكِي الْبَيْضَاءَ، فَقَبِضَ عَلَيْهَا بَيْنَ مَخَالِبِهِ وَبَدَأَ يَطِيرُ بِهَا، وَلَكِنَّهُ لِسَبَبٍ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحْكَمَ مَخَالِبَهُ عَلَيْهَا، فَفَرَفَرَ بِجَنَاحَيْهِ حَتَّى هَبَطَ عَلَى الْأَرْضِ مَا إِنْ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ، وَهُنَاكَ أَحْكَمَ عَلَيْهَا مَخَالِبَهُ. وَإِذْ انْقَضَ عَلَيْهِ الدِّيكُ الرُّومِيُّ الْعَجُوزُ دَانْدِي كُوك — خَافِضًا رَأْسَهُ وَنَافِشًا رِيشَ رَقَبَتِهِ كُلَّهُ فِي غَضَبٍ — ارْتَفَعَ بِلَاكِي فِي الْهَوَاءِ وَحَلَّقَ فَوْقَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ مُتَّجِهَا نَحْوَ الْغَايَةِ الْخَضِرَاءِ.

لَمْ يَكُنْ بِلَاكِي قَدْ شَعَرَ مِنْ قَبْلُ بِمِثْلِ تِلْكَ الرَّغْبَةِ الْعَارِمَةِ فِي الصِّيَاحِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ؛ فَقَدْ شَعَرَ بِشِدَّةِ ذِكَايِهِ، وَأَشْكُ أَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ أَيْضًا بِشَجَاعَتِهِ الْبَالِغَةِ. لَكُمْ أَحَبُّ أَنْ يَتَفَاخَرَ قَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، فَبِكُلِّ حِكْمَةٍ أَمْسَكَ لِسَانَهُ، فَسَيَّتَحُ لَهُ الْوَقْتُ الْكَافِي لِلتَّفَاخُرِ بَعْدَ أَنْ يَصِلَ لِمَكَانٍ آمِنٍ وَيَأْكُلَ الْبَيْضَةَ.

كَانَ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ فَوْقَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ عِنْدَمَا شَعَرَ بِأَنَّ الْبَيْضَةَ بَدَأَتْ فِي الْإِنْزِلَاقِ. وَفِي أَحْسَنِ الظُّرُوفِ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ حَمْلُ بَيْضَةٍ دُونَ أَنْ تَنْكَبِرَ. فَكَمَا تَعْلُمُونَ، عَلَيْكُمْ تَوْخِي أَشَدَّ الْحَذَرِ. وَتَخَيَّلُوا شُعُورَ بِلَاكِي عِنْدَمَا بَدَأَتْ الْبَيْضَةُ فِي الْإِنْزِلَاقِ. وَبَقَدْرِ مَا حَاوَلَ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهَا جَيِّدًا، فَانْزَلَقَتْ أَكْثَرَ قَلِيلًا. تَوَجَّهَ بِلَاكِي نَحْوَ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ سَرِيعًا بِمَا يَكْفِي. رَأَى السَّنَجَابُ الْمُخَطَّطُ — الَّذِي وَقَفَ يُرَاقِبُ بِلَاكِي مِنْ عَلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ — شَيْئًا أَبْيَضَ يَقَعُ مِنْ بَيْنَ مَخَالِبِ بِلَاكِي. وَرَأَى بِلَاكِي يَنْدَفِعُ وَرَاءَهُ مُحَاوِلًا الْإِمْسَاكَ بِهِ دُونَ جَدْوَى. ثُمَّ ارْتَطَمَ الشَّيْءُ الْأَبْيَضُ بِفَرْعٍ مِنْ شَجَرَةٍ تَفَاحٍ قَدِيمَةٍ، وَارْتَدَّ عَنْهُ ثُمَّ سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ، وَتَبِعَهُ بِلَاكِي.

تَسَلَّلَ السَّنَجَابُ الْمُخَطَّطُ بِهُدُوءٍ بَالِغٍ عَبْرَ الْحَشَائِشِ لِيَرَى مَا يَفْعَلُهُ بِلَاكِي. كَانَ
بِلَاكِي يَقِفُ بِجَوَارِ شَيْءٍ أَبْيَضٍ يُشَبِّهُ الْبَيْضَةَ كَثِيرًا. كَانَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَقَدْ ارْتَسَمَ عَلَى وَجْهِهِ
تَعْبِيرٌ عَجِيبٌ.

مِنْ حِينَ لِأَخَرٍ كَانَ يَمُدُّ رَأْسَهُ وَيَطْرِقُهُ بِمِنْقَارِهِ، ثُمَّ يَبْدُو كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ مَا
يَفْعَلُ بِهِ. وَهُوَ فِعْلًا لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ. لَمْ يَكُنْ سُلُوكُ الْبَيْضَةِ كَمَا يَنْبَغِي. كَانَ يَنْبَغِي
أَنْ تَنْكَسِرَ عِنْدَمَا ارْتَطَمَتْ بِفَرْعِ شَجَرَةِ التُّفَاحِ، وَبِالتَّأَكُّيدِ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَنْكَسِرَ عِنْدَمَا
ضَرَبَهَا بِمِنْقَارِهِ هَكَذَا. فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ تِلْكَ الْبَيْضَةَ، لَوْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا عَلَى كَسْرِ قَشْرِتِهَا؟
لَمْ يَكُنْ بِلَاكِي يَعْرِفُ.

مَاذَا فَعَلَ بِلَاكِي بِالْبَيْضَةِ الْمُسْرُوقَةِ؟

كَانَ بِلَاكِي مُحْتَارًا؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ بِالْبَيْضَةِ الَّتِي سَرَقَهَا مِنْ حَظِيرَةِ دَجَاجِ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ. لَمْ تَكُنْ تُشَبِّهُهُ أَيْهَ بَيْضَةٍ رَأَاهَا أَوْ حَتَّى سَمِعَ بِهَا مِنْ قَبْلُ. كَانَتْ بَيْضَةً حُلُوةَ الْمَظْهَرِ، وَكَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ طَعْمَهَا سَيَكُونُ حُلُوةً كَمَظْهَرِهَا. وَحَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةَ كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ إِذَا اسْتَطَاعَ تَذْوُقَهَا، فَسَيَجِدُ فِيهَا كُلَّ مَا يَتَمَنَاهُ. لَكِنْ كَيْفَ سَيَسْتَطِيعُ تَذْوُقَهَا بَيْنَمَا لَا يَسْتَطِيعُ كَسْرَ قَشْرِهَا؟ إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ قَبْلُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقِشْرَةِ. وَشَكَّ فِي أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ آخَرَ قَدْ سَمِعَ بِمِثْلِهَا. لَقَدْ دَقَّ عَلَيْهَا بِقُوَّةٍ بِمِنْقَارِهِ الْقَوِيِّ حَتَّى خَشِيَ أَنْ يَنْكَسِرَ مِنْقَارُهُ بَدَلًا مِنَ الْبَيْضَةِ. وَكُلَّمَا زَادَتْ مُحَاوَلَاتُهُ الْفَاشِلَةَ فِي كَسْرِهَا، زَادَ جُوعُهُ، وَزَادَ تَأَكُّدُهُ مِنْ أَنَّهُ لَا شَيْءَ آخَرَ فِي هَذَا الْعَالَمِ سَيَكُونُ أَلَدَّ مِنْهَا.

لَكِنَّ الْبُسْتَانَ الْقَدِيمَ لَمْ يَكُنْ مَكَانًا مُنَاسِبًا لِمُحَاوَلَةِ كَسْرِ هَذِهِ الْبَيْضَةِ؛ فَأَوَّلًا: كَانَ الْمَكَانُ قَرِيبًا مِنْ مَنْزِلِ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ أَكْثَرَ مِنَ اللازِمِ، وَهُوَ مَا لَمْ يَرْتَحِ لَهُ بِلَاكِي؛ فَقَدْ كَانَ يَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ تَأْنِيْبِ الضَّمِيرِ. لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ مُطْلَقًا بِأَنَّهُ فَعَلَ أَمْرًا خَاطِئًا؛ فَقَدْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِلْحُصُولِ عَلَى تِلْكَ الْبَيْضَةِ، فَلَهُ حَقٌّ فِيهَا مِثْلُهُ مِثْلُ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ، لَا سِيَّمَا ابْنِ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ. لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُتَأَكِّدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ سَيُشَارِكُهُ الرَّأْيَ. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ يَشْعُرُ أَنَّ ابْنَ الْمَزَارِعِ بَرَاوِنَ سَيَعْتَبِرُهُ لِصًّا إِذَا وَجَدَ تِلْكَ الْبَيْضَةَ مَعَهُ. وَإِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ، كَانَ ثَمَّةَ الْكَثِيرِ مِنَ الْعُيُونِ الثَّاقِبَةِ فِي الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ. فَكَانَ يَزْعَبُ فِي الذَّهَابِ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ يُمَكِّنُهُ التَّأَكُّدُ مِنْ أَنَّهُ بِمَفْرَدِهِ فِيهِ. وَحِينَهَا إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكْسِرَ هَذِهِ الْقِشْرَةَ، فَلَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ؛ لِذَا التَّقَطُّ الْبَيْضَةَ وَطَارَ

نَحْوِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ مُبَاشَرَةً، وَهَذِهِ الْمَرَّةَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصِلَ إِلَى هُنَاكَ دُونَ أَنْ تَقَعَ مِنْهُ الْبَيْضَةُ.

لَمْ تَكُنْ لِتَشْكُ قَطُّ فِي أَنْ يَكُونَ الْغُرَابُ بِلَاكِي — بِذَكَائِهِ الْحَادِّ وَدَهَائِهِ — مِمَّنْ تَسْتَهْوِيهِمُ الْأَشْيَاءُ الْبَرَّاقَةُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَلَكِنَّ تِلْكَ هِيَ الْحَقِيقَةُ. فِي الْوَاقِعِ، يُشَبِّهُ بِلَاكِي الطِّفْلَ الصَّغِيرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ؛ فَأَيُّ شَيْءٍ بَرَّاقٍ وَلَامِعٍ يُثِيرُ اهْتِمَامَ بِلَاكِي عَلَى الْفُورِ. وَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا مِنْ هَذَا النَّوعِ، يَأْخُذُهُ إِلَى مَكَانٍ سَرِّيٍّ مُعَيَّنٍ، وَهُنَاكَ يَظَلُّ يَتَأَمَّلُهُ وَيَلْعَبُ بِهِ ثُمَّ يُخَبِّئُهُ فِي النِّهَائَةِ. كُنْتُ سَاطِنٌ بِلَاكِي يُشَبِّهُ بَعْضَ الْأَوْلَادِ الصَّغَارِ الَّذِينَ أَغْرِفُهُمْ، لَوْ لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ إِذْ إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا. فَذَائِمًا مَا تَكُونُ جُيُوبُ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادِ مَلِيئَةً بِمُخْتَلِفِ الْأَشْيَاءِ عَدِيمَةِ الْفَائِدَةِ الَّتِي التَّقْطُوعُهَا مِنْ مَكَانٍ أَوْ آخَرَ. وَبِلَاكِي لَا يَمْلِكُ جُيُوبًا؛ لِذَا يَحْتَفِظُ بِالْكُنُوزِ مِنْ هَذَا النَّوعِ فِي مَخْبَأٍ سَرِّيٍّ، هُوَ مَخْزَنُ كُنُوزِ نَوْعًا مَا. فَيُزَوِّدُهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيُخْرِجُ كُنُوزَهُ، وَيَتَفَاحَرُ بِهَا وَيَلْعَبُ بِهَا، ثُمَّ يُخْفِيهَا بِعِنَايَةٍ مَرَّةً أُخْرَى.

فِي الْبِدَايَةِ، أَخَذَ بِلَاكِي هَذِهِ الْبَيْضَةَ بِالْقُرْبِ مِنْ مَنْزِلِهِ، وَحَاوَلَ مِرَارًا وَتَكَرَّرًا أَنْ يَكْسِرَ قَشْرَتَهَا. لَكِنَّ الْقِشْرَةَ لَمْ تَنْكَسِرْ، حَتَّى عِنْدَمَا فَقَدَ بِلَاكِي أَعْصَابَهُ وَطَرَقَهَا بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِنْ قُوَّةٍ. ثُمَّ تَخَلَّى عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَطَارَ إِلَى مَكَانِهِ الْمُفْضَلِ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ الْعَالِيَةِ تَارِكًا الْبَيْضَةَ عَلَى الْأَرْضِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ يَرَى تِلْكَ الْبَيْضَةَ الْمُسْتَفْرِزَةَ مِنْ مَوْضِعِهِ الْمُفْضَلِ عَلَى شَجَرَةِ الصَّنَوْبَرِ الْعَالِيَةِ، فَكَانَتْ بُقْعَةً صَغِيرَةً مِنَ الْبَيَاضِ اللَّامِعِ. وَعِنْدَمَا وَجَدَتْهَا أَشْعَةُ الشَّمْسِ الصَّغِيرَةِ الْمَرِحَةِ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهَا، كَانَتْ لَامِعَةً وَبَرَّاقَةً لِلْغَايَةِ، حَتَّى إِنَّ بِلَاكِي لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُبْعَدَ عَيْنَيْهِ عَنْهَا.

وَشَيْئًا فَشَيْئًا، بَدَأَ يَنْسَى أَنَّهَا بَيْضَةٌ، أَوْ إِنَّهُ عَلَى الْأَقْلَى نَسِيَ أَنَّهُ كَانَ يَرْغَبُ فِي تَنَاوُلِهَا. وَبَدَأَ يَجِدُ مَنَعَةً فِي مَجَرَّدِ النَّظَرِ إِلَيْهَا. رُبَّمَا لَمْ تُشْبِعْ مَعِدَتَهُ، وَلَكِنَّهَا بِالتَّأَكُّيدِ أَشْبَعَتْ عَيْنَيْهِ. نَسِيَ أَنْ يُفَكِّرَ فِيهَا بِاعتبارها طَعَامًا، وَبَدَأَ يُفَكِّرُ فِيهَا عَلَى أَنَّهَا شَيْءٌ جَدِيرٌ بِالتَّأَمُّلِ وَالْإِعْجَابِ. وَسَرَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ كَسْرَ قَشْرَتِهَا.

مَاذَا فَعَلَ بِلَاكِي بِالْبَيْضَةِ الْمَسْرُوقَةِ؟

بَسَطَ جَنَاحَيْهِ الْأَسْوَدَيْنِ مَرَّةً أُخْرَى وَنَزَلَ إِلَى الْبَيْضَةِ، ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ جَانِبًا وَأَخَذَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ أَمَالَ رَأْسَهُ لِلْجَانِبِ الْآخَرِ وَنَظَرَ إِلَيْهَا أَيْضًا، ثُمَّ طَافَ حَوْلَهَا ضَاحِكًا وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «جَمِيلَةٌ جَمِيلَةٌ جَمِيلَةٌ! وَهِيَ مِلْكِي أَنَا وَحْدِي! جَمِيلَةٌ، جَمِيلَةٌ، وَمِلْكِي وَحْدِي!»
ثُمَّ نَظَرَ بِلَاكِي حَوْلَهُ بِمَكْرٍ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ أَحَدًا لَا يُرَاقِبُهُ. وَبَعْدَ أَنْ تَأَكَّدَ، دَخَرَ
الْبَيْضَةَ وَرَاحَ يُقَلِّبُهَا وَيَتَأَمَّلُهَا بِقَدْرِ مَا أَرَادَ. وَفِي النِّهَايَةِ، التَّقَطَّهَا وَحَمَلَهَا إِلَى مَخْبَأِ الْكُنُوزِ
وَحَبَّأَهَا هُنَاكَ بِعِنَايَةٍ بِالْغَةِ. وَهُنَاكَ لَا تَزَالُ هَذِهِ الْبَيْضَةُ الْخَرْفِيَّةُ — فَهَذَا هُوَ مَا سَرَقَهُ
بِلَاكِي — أَهَمَّ كَنْزٍ لَدَى بِلَاكِي حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَلَا يَزَالُ بِلَاكِي يَنْسَاءَلُ أحيانًا عَنِ
الدَّجَاجَةِ الَّتِي بَاضَتْ مِثْلَ هَذِهِ الْبَيْضَةِ صُلْبَةَ الْقَشْرَةِ.

